آريان شومان

دار ترياق للنشر والتوزيع
TERIAQ PUBLISHING

ترياق السيرة

السيرة غير المعروفة لميلان كونديرا

سلسلة مقالات حصرية
تقتفي حياته ومسيرته

ترجمة: وئام غداس

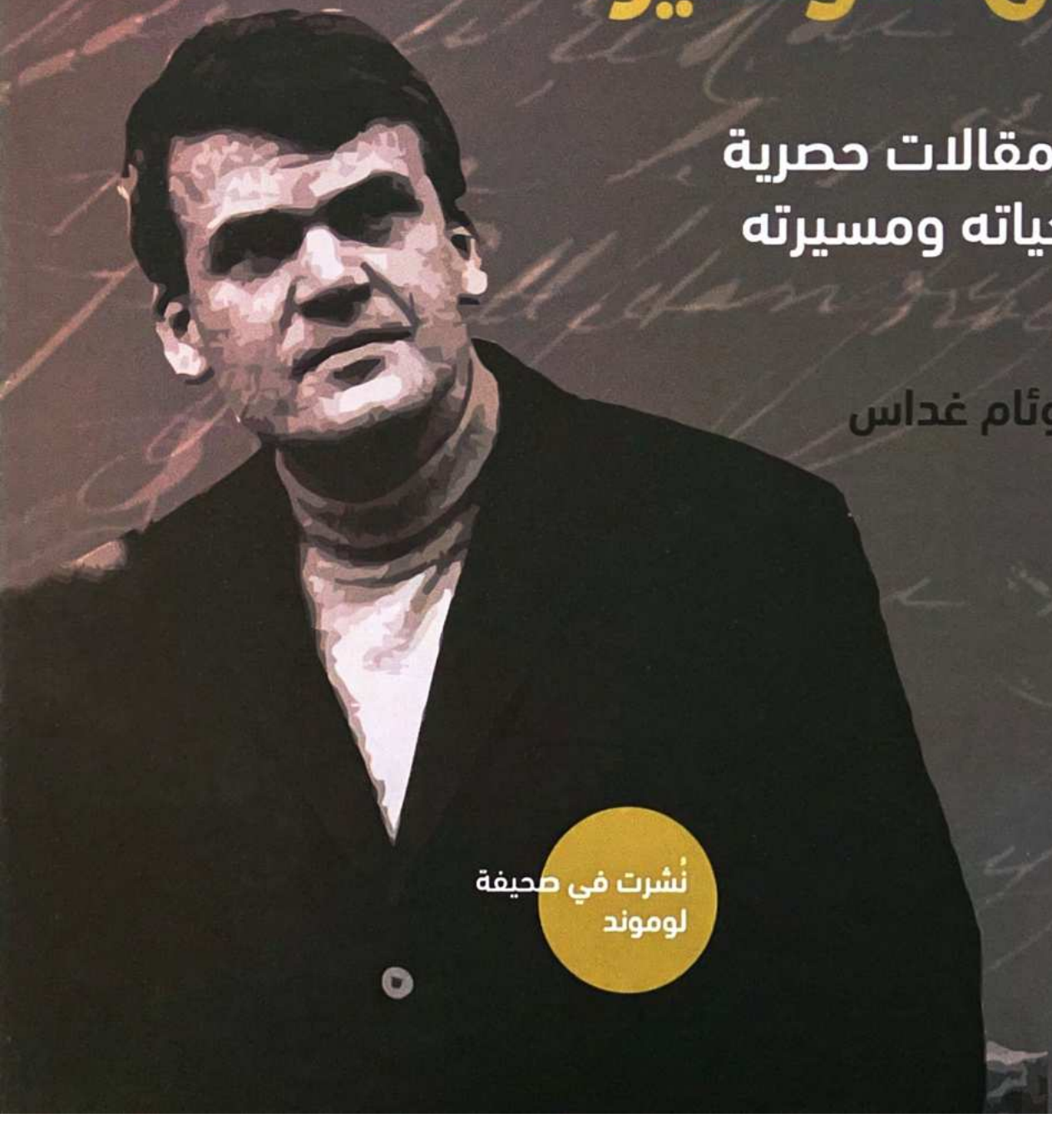

نُشرت في صحيفة
لوموند

السيرة غير المعروفة
لميلان كونديرا

عنوان الكتاب: السيرة غير المعروفة لميلان كونديرا

المؤلف: آريان شومان

ترجمة: وئام غداس

التصنيف: ترياق السيرة

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٢٥٠١

ردمك: ٣-٩-٩١٥٢٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

يناير-٢٠٢١

00966500877986

info@teriaq-publishing.com

teriaq-publishing.com

Teriaq_ksa

Teriaq_ksa

Teriaq_store

السعودية- الرياض - طريق مطار الملك خالد الدولي - واجهة الرياض - (أعمال) مبنى رقم ١٦ - مكتب ٢٣-١٣٤١٤.

دار ترياق للنشر والتوزيع
TERIAQ PUBLISHING

جميع حقوق الطبع محفوظة وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون علم الدار يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والتوقيف.

السيرة غير المعروفة
لميلان كونديرا

آريان شومان

سلسة مقالات حصرية تقتفي حياته ومسيرته.
نُشرت في صحيفة لوموند الفرنسية- ديسمبر 2019

ترجمة

وئام غداس

تحرير

إقبال عبيد

دار ترياق للنشر والتوزيع
TERIAQ PUBLISHING

المقدمة

يتمنَّى كونديرا، مثل سيوران، أن تضاهي «المادة المتاحة عن سيرته ـ في قلّتها ـ ما هو متاح من سيرة الله»[1]

هكذا اتخذ الكاتب المنفي جرعته الزائدة عن نفسه وتقزُّزه بالحديث عن حياته واهتماماته أمام جموع الصحافيين والنقاد والمهتمين، واكتفى بالرد قائلًا: «تريد أن تعرفني؛ اقرأني».

لقد عبَّرت روايات كونديرا عن توثيق رصين ومخيف للظلم والوحشية الماكرة. فعل ذلك بذكاء مؤرخ للتاريخ الشفاهي غير المكتوب في كتب مؤرخي النظام الفاشي، والمُولِّد لأدب الانضغاط كما يسميه كونديرا.

وبالرغم من اهتماماته الواضحة بشؤون الدولة، ادَّعى كونديرا أن الروايات لا ينبغي أن تتأثر بالسياسة: «يجب أن تظل مستقلة». ومع ذلك، من الصحيح أن نقول إن تجاربه في تشيكوسلوفاكيا، وخبرته مع التجربة الشيوعية قد ألهمت رواياته، فهي ضرورية لبعض قصصه، كما يقول.

---

(١) نانسي هيوستن في كتابها (أساتذة اليأس).

وفي الوقت ذاته، قد نكتشف شيئًا ما عن حساسية القرَّاء لهذا النوع من الخيال التاريخي المعاصر؛ فبعض أعمال كونديرا سياسية أيضًا وبعمق، إذ تعتمد كثيرًا على تجربته الشمولية في محاولة لاستكشاف المشهد الروحي المعقد الذي تسكنه شخصياته. ومع ذلك، فلم يؤكد كونديرا، وبأي حال من الأحوال، وضعه ككاتب منشق، بل على العكس، وخصوصًا في السنوات الأخيرة؛ فقد سعى جاهدًا لتأهيل، بل إنكار، تلك المكانة في كل منعطف. لكنني أعتقد أنه في البعد السياسي لعمله ـأو بدقة أكثر، في الموقف الغامض الذي يتبناه كونديرا تجاه البعد السياسي لعملهـ سنجد مصدرًا مهمًّا لجاذبيته الهائلة في جميع أنحاء العالم.

إن «مصير الفرد في المجتمعات الحديثة» يُمثِّل منطقة مجهولة للعديد من الروائيين. لكنَّ هذا الموضوع الشائق والشائك في الآن ذاته، يتنفس حياة جديدة في أعمال كونديرا، ويرجع ذلك في جزء كبير منه إلى الطريقة البارعة التي تمكن عبرها من دمج الحقيقة مع الخيال؛ فشخصياته تشغل مرحلة حدَّد نصفها خيال كونديرا، ونصفها الآخر الواقع التاريخي للتاريخ التشيكي الحديث. يميل إلى العمل على فصول قصيرة ، وسرد عرضي متغيّر يخلق جنبًا إلى جنب مونتاجًا للصور وخطوطًا للرواية والتوصيفات. ولهذه الغاية، طوَّر كونديرا أسلوبًا مقتضبًا ومتعرجًا ومثيرًا للتأمل بطريقة متشعبة ولكنها محكمة إذا ما جُمِعت وأُعيد النظر إليها بمجرد انتهاء الرواية؛ فالسرد لديه يُقطَع باستمرار، ليظهر كونديرا لإضفاء القليل من الفلسفة أو السيرة الذاتية أو التخمين النفسي لبعض شخصياته.

يظهر هذا الأسلوب بأفضل صورة في رواية (الكائن الذي لا تُحتمَل خفَّته) على سبيل المثال، التي تبدأ بالتفكير في فلسفة (العَود الأبدي) لنيتشه. وهو انعكاس يعود بذاته ليصبح أحد الأفكار السائدة في الكتاب.

إن قدرة كونديرا على دمج الفلسفة والتاريخ والأحلام والموسيقى والرومانسية في رواياته، وعبر قالب متحرك، وقابل للقراءة بمرونة، ما هي إلَّا شهادة على أصالته وموهبته الاستثنائية. وليس ذلك المزيج لدى كونديرا لمجرد حشد الكثير من الأفكار، ولكنه حاجة روائية لديه، فغالبًا ما تُبنى روايات كونديرا على موضوعات فلسفية لا تقل أهمية عن الحوار أو الشخصية. وفي مقابلة نادرة أجراها في عام ١٩٨٩، أوضح كونديرا أن «هناك مشكلات في الوجود البشري لم تعرف الفلسفة قط كيفية فهمها بكل ما تحمله من إرث، أو حتى تفكيكها - ولكن، وعبر ذكاء مزيج الرواية وحدها، يمكن أن نفهمها».

وعدا تلك العناصر المركبة، فقد استندت جاذبية روايات كونديرا للقرَّاء إلى موهبته في استخدام الإيروتيكية الصريحة كوسيلة للتعبير عن القضايا الفلسفية والسياسية المعقدة. إنها طريقته ـ كما يقول ـ لإبقاء الأيديولوجيا خارج الحالة الإنسانية. ومع ذلك، فإن المعرفة الجنسية لا معنى لها عند فصلها عن ظروف الحياة الأوسع مِحَنًا وتجربة؛ فغرف نوم كونديرا في رواياته تبدو شبه خاصة، إذ يُدعى القارئ إليها كمتلصص رسمي. وبذلك، فلم تكن مصادفة أن أهدى فيليب روث روايته (الكاتب الشبح) (١٩٧٩) إلى ميلان كونديرا.

يحظى كونديرا اليوم، ككاتب وإنسان، بتقدير واحترام كبيرين حول العالم؛ ففي حفلة التخمين، التي شغلت العالم مؤخرًا بشأن جائزة (نوبل)، ارتفعت الأصوات لاحتمالية نيله الجائزة. وقد نال كونديرا العديد من الجوائز تقديرًا لرواياته، التي يرى بأنها لا تفحص الواقع، بل الوجود، والوجود ـ في نظره ـ ليس ما جرى، بل هو حقل الإمكانات الإنسانية: كل ما يمكن للإنسان أن يصيره، وكل ما هو قادر عليه.

إقبال عبيد

علي زين

(1)

المصير الاستثنائي
لـ (ميلان كونديرا)
الكاتب القادم من البرد.

كونديرا – قصة حياة (١/٦).

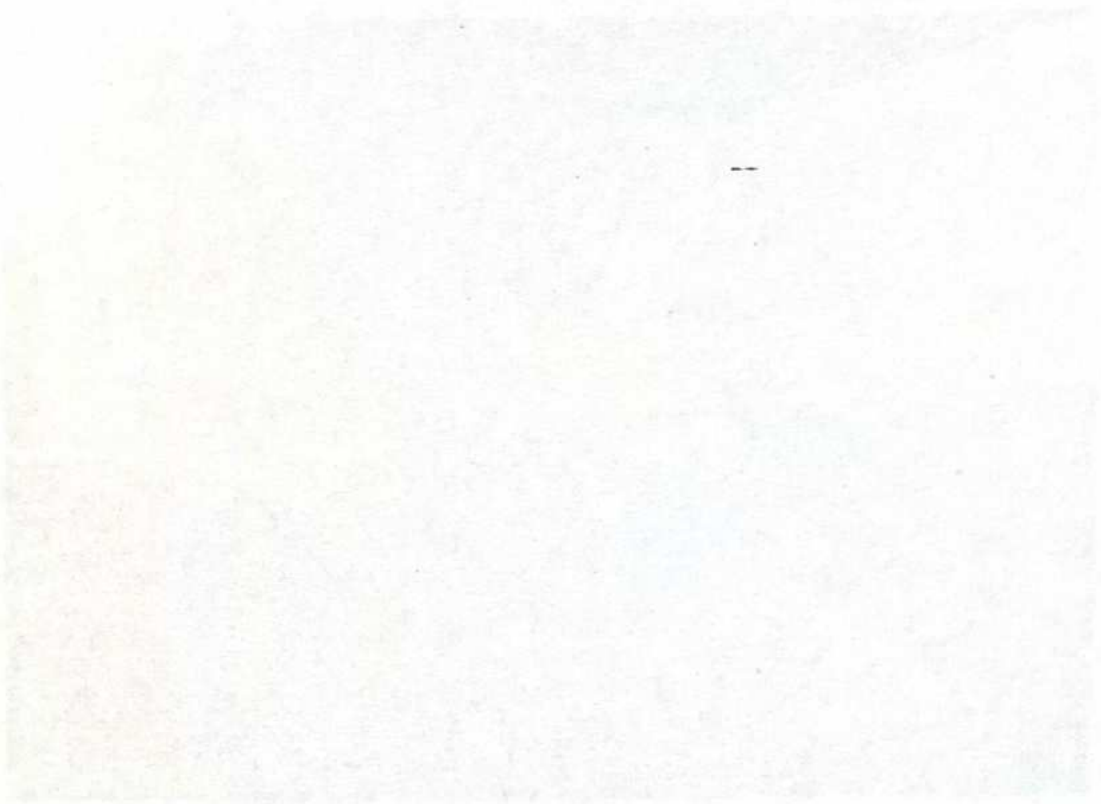

في سن التسعين عامًا، تمكن الروائي الشهير توًّا، من استعادة جنسيته (التشيكية) التي سُحبت منه في الحقبة الزمنية الشيوعية. من (براغ) إلى (باريس) اقتفت «لوموند» في سلسلة مقالات، أثر مسيرة هذا الرجل اللغز. يكشف الجزء الأول من الكتاب، حياته في (تشيكوسلوفاكيا).

في شارع باريسي ذو اتّجاه واحد، من موقع صغيرٍ معزول في الدائرة السابعة، يطلّ رجل بوجه ملاكم جميل، وبشعر أبيض، حاملا بفخر سنواته التسعين، وامرأة صغيرة سمراء، نحيلة، بتسريحة شعر ذكورية. روحين توأمين، ملتحمة إحداهما بالأخرى. المارة الذين تتقاطع دروبهم مع الجسم الطويل والنحيل لـ(ميلان كونديرا) الملتصق بجسم (فيرا) زوجته منذ نصف قرن، يبدين إعجابهما برؤيتهما هكذا، على هيئة تضجّ بالحياة.

> الجنس (الحزين)، الضحك (الحاد) «ابتسامة» الكلبة (كارينينا) حركة يد (أغنيس) وهي على حافة المسبح... لا تزال شخوصه الروائية ووضعياتها محفورة، لا يطالها النسيان ولا تمحوها المآسي التي تقتات في الذاكرة.

نجح الروائي. ولرفضه القاطع لكلّ مرور إعلامي منذ خمسة وثلاثين عاما، اختفى من الواقع. بات مؤلف «المزحة» (١٩٧٦) شبحًا في نظر جمهوره وقرّائه العالميين، مثل الأيرلندي (صامويل بيكت) الذي نقتفى أثره في الشوارع العتيقة ذاتها، قبل بضعة عقود. رواياته ألقت سحرها على ملايين القرّاء. الجنس (الحزين)، الضحك (الحاد)، ابتسامة الكلبة (كارنينا) حركة يد (أغنيس) وهي على حافة المسبح... لا تزال شخوصه الروائية ووضعياتها محفورة، لا يطالها النسيان. ولا تمحوها المآسي التي تقتات في الذاكرة «بمنتهى الخفة والبساطة، يلخّص بإيجاز الروائي (بينوا دوتورتر) أول المقربين منه، «الذكاء الذي يتخلله بساطة الأشياء.»

(كونديرا) أحد اعظم الروائيين الأكثر قراءة في العالم: الترجمات التسعة والأربعين، للسبعة عشرة كتابًا، تصطفّ أمام مدخل شقته مثل رواق في برج بابل. ومع كتابه النقدي **فن الرواية** (غاليمار ١٩٨٦)، بات أيضا كاتبًا عن كُتّاب آخرين، حيث حاور كبار المؤلفين، (غارسيا ماركيز) و(رشدي)، و(روث) و(سسياسيا) مرورا بالمخرج الإيطالي (فيلليني). تزين شقته لوحة لصديقه الفنان التشكيلي البريطاني «فرانسيس بيكون». عناوين رواياته أصبحت رموزا ، كما فاضت اقتباسات من رواياته جميع مواقع التواصل الاجتماعي، مغني الراب (نيكفو) يقتبس منه في أغنية «**عندي غضب**». خلال هذا الوقت كان (كونديرا) يُرتب لاختفاءه.

«لدي جرعة زائدة من نفسي»

بدأ كلّ شيء في فرنسا، بعد النجاح الذي حققته روايته «كائن لا تحتمل خفته»، في ١٩٨٤. في برنامج «فواصل» مع (برنار بيفو)، نكتشف عينيه الزرقاوين ولكنته الرصينة الجذابة. كانت جميع وسائل الإعلام تسعى خلفه. «لدي جرعة زائدة من نفسي»، يقول شاعرا بالوحشة أمام صديقه الكاتب (كريستيان سالمون)، الذي يحاوره في باريس ريفيو.

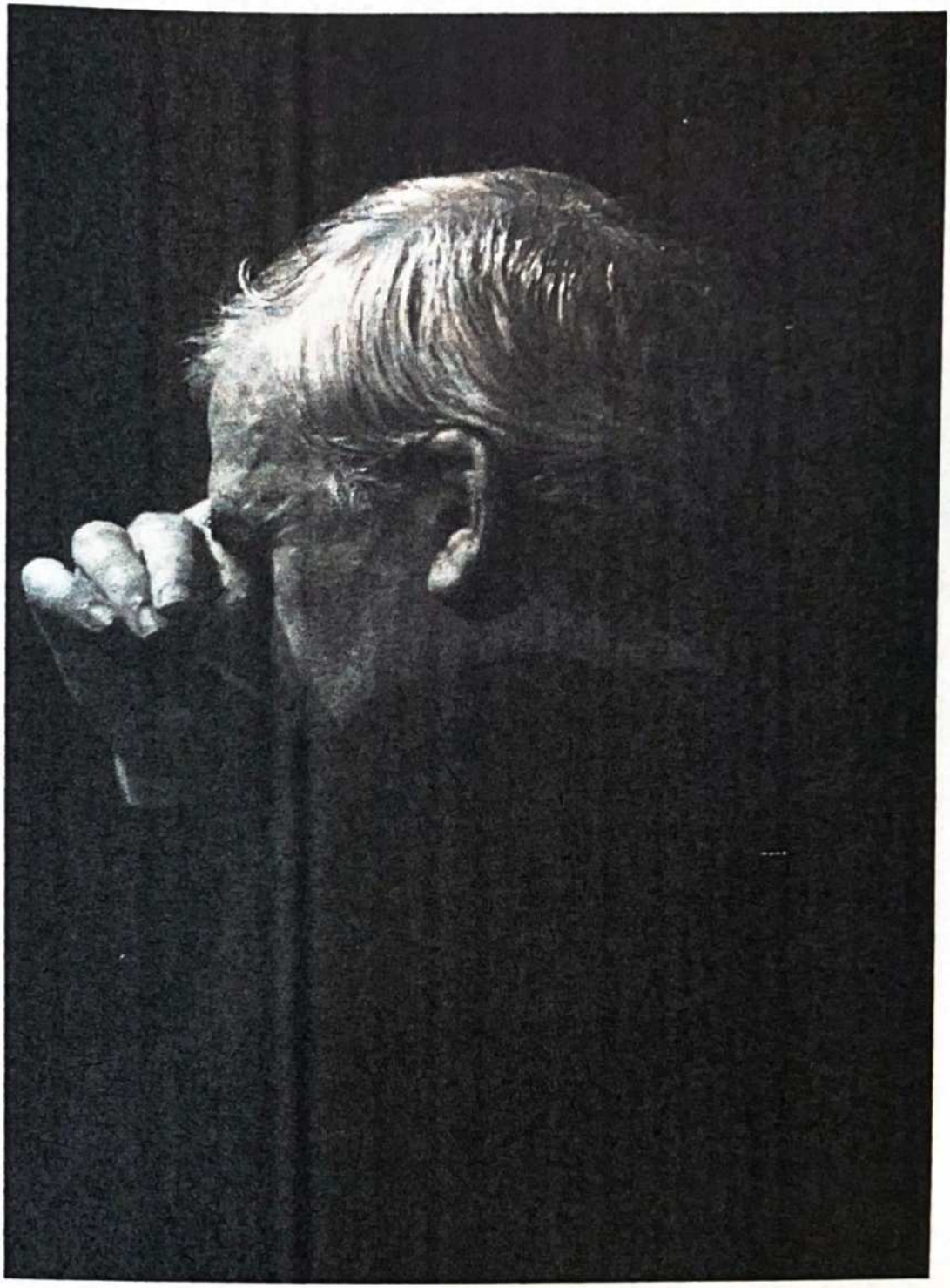

ميلان كونديرا في برنامج فواصل، عام ١٩٨٤.
بعدسة جاك غراف/ديفيرجونس إيماج. كوم

بعد ذلك كان يغرق في الصمت. «في جوان ١٩٨٥، قررتُ بشكل قاطع: لا حوارات بعد اليوم. عدا (...) حقوقي في النشر، فيجب اعتبار منذ هذا التاريخ كل شيء متعلق بي يتم التصريح به، زائفًا ولا علاقة لي به.» من خلال نظام الاتصال الداخلي (الأنترفون) للشقة الباريسية، تتردد أسماء أصدقائه الروائيين، أو مترجمه الإيرلندي في ممرات البناية. وحتى تضع (فيرا كونديرا) سماعة الهاتف يجب الامتثال للتعليمات البرمجية، بكتابة رمز.

في وقت من الأوقات، فكّر الثنائي في الانعزال في إيرلندا، لينغمرا أكثر في حياة التخفي. رغبا أيضا بالذوبان في الجبال (الكورسيكية) بعد إقامة مثالية في منزل بـ(باستيليكا)، قرية قومية تقع في بستان كستناء فوق (أجاكسيو). أو في (مارتينيك) أيضا، قريبا من صديقهما الرسّام (إرنست بريلور).

هاتين الجزيرتين، كانتا مكان فرارهما المفضل، قبل أعوام عندما كانا يعيشان بدون جواز سفر، لكن في النهاية بقي السيد والسيدة (كونديرا) باريسيين ولكن مع الحذر الشديد.

حتى الصور كانت تعتدي وتتلصص على الكاتب: الصور القليلة المنتشرة في الصحافة، دائما ما تكون بعين وعدسة زوجته، البارعة. عندما زاره في باريس رئيس الوزراء التشيكي، المنتمي للقلة المناهضة للنظام، (أندريج بابيس) في نوفمبر ٢٠١٨، هنا أيضًا فرض (كونديرا) شروطه: لا لقطات مصورة له على منشور الأحد السياسي في فيسبوك. «إنه مثل هندي يخشى أن تسرق روحه» تكرر (فيرا) باستمرار.

على طاولة المقهى؛ أين ضربت لنا موعدا؟ كانت تلقي بعبارات لاذعة حول سنوات الحرب الباردة: «يجب شنق كلاب الصحفيين البوليسية»، تخربش الملاحظات التي على دفترك، ثم تنفجر ضاحكة -دمها خفيف جدا- ويلين وجهها المنحوت.

أما (ميلان كونديرا) فقد كان يفضل ضرب أمثلة من مقولات (فلوبيير): «يجب على الفنان أن يجعل الأجيال القادمة تعتقد أنّه لم يعش أبدًا.» يمقت الذوق الحالي لما يحمل من «تهور»، أو ما يسميه بـ»الخطيئة الأولية» (نيويورك تايمز،١٩٨٥). لقد عاش في عصر المياه الرمادية، ويحاول اليوم تفادي شبكات القراءة المعاصرة حول الحياة في الشرق: «تدمر الشرطة الحياة الشخصية في البلدان الشيوعية، ويدمرها الصحفيون في الدول الديمقراطية.» وهكذا وضع القيود على حياته.

«لا أحبّ تحويل حياتي إلى ميلودراما»

من باب الحذر، يفضل (كونديرا) إرسال رسومات على إرسال الرسائل، شخصيات غريبة دوما، باربا الشاطر[1] بأسلوب (بيكاسو)، أغلب أبطاله على هيئة أطفال بأشكال مترهلة وممتلئة. أرشيف، مخطوطات، لا يترك السيد والسيدة (كونديرا)، أي أثر خلفهما.

في خريف ٢٠١٠، وبعد العمل بدوام كامل طيلة أربعة وعشرين عاما، عندما توقفت (فيرا) عن إدارة شؤون زوجها لوحدها، واستأمنت الوكيل الأدبي الأمريكي (أندرو ويلي) المعروف باسم «ابن آوى» لتولي حقوق الكتب في الخارج، قصفت جميع العقود. «اتصلتُ برجال القمامة، ورأيت ربع قرنٍ من حياتي يتحول إلى قصاصات ورقية أمام عينيّ.» هكذا صرحت منذ شهر للصحيفة التشيكية **هوست.** «أظن أنهم حرقوا حتى مراسلاتهم الشخصية»،

---

(١) باربا الشاطر: مسلسل كرتوني فرنسي مأخوذ من سلسلة كتب الأطفال صدرت في السبعينات من قبل أنيت تايسون وتالوس تايلور، في باريس. تُرجم الكتاب لاحقا إلى أكثر من ٣٠ لغة وبعد النجاح الذي حققه الكتاب تم إنتاج مسلسل كرتوني.

تنهّد باستسلام الفيلسوف آلان (فينكيلكراوت) صديقهما لأربعين عاما.

> لقد عبر الحرب الباردة، وصاحبَ التفكك البطيء للأوهام الأوروبية. إنه مصير خيالي روائي بمعنى الكلمة.

أمام فرونسوا نوريسيي، أحد أهم الركائز التي غابت اليوم عن الحياة الأدبية الفرنسية، فضفض (كونديرا) ذات يوم: «لا أريد تحويل حياتي إلى ميلودراما.» رغم ذلك أي حياة كانت!

بدءا بولادته في (تشيكوسلوفاكيا) عام ١٩٢٩، إلى احتلال (هتلر)، ومن تولي الشيوعيين الحكم في ١٩٤٨، حتى ربيع (براغ) بعد عشرين سنة، ثم اختياره لفرنسا وطنا إلى «إعادة تجنيسه»، نهاية نوفمبر٢٠١٩، ثمة قرن مليء ودسم من الحكايات التي طافت وجالت حول قصته! . «أنه تراجيديا أوروبا في عصره، والتي حُفرت واقترنت بمصيره.» كتب (كونديرا) حول أحد أدبائه المفضلين، الفينوازي هيرمان بروش (١٨٨٦ـ١٩٥١). أما هو فقد عبر الحرب الباردة وصاحبَ التفكك البطيء للأوهام الأوربية. مصير خيالي روائي بمعنى الكلمة. كما لو أنه خارج من إحدى روايات جون لو كاريه[١]، أحيانا.

---

(١) جون لو كاريه: هو الاسم المستعار للكاتب الدولي للكتب الأكثر مبيعا ديفيد جون مور كورنويل، عن رواياته التي تركز على البيئات السياسية، والتجسس، من عصر الحرب الباردة، وقد ولد في أكتوبر ١٩٣١ في بول دورست المملكة المتحدة، أنجلترا.

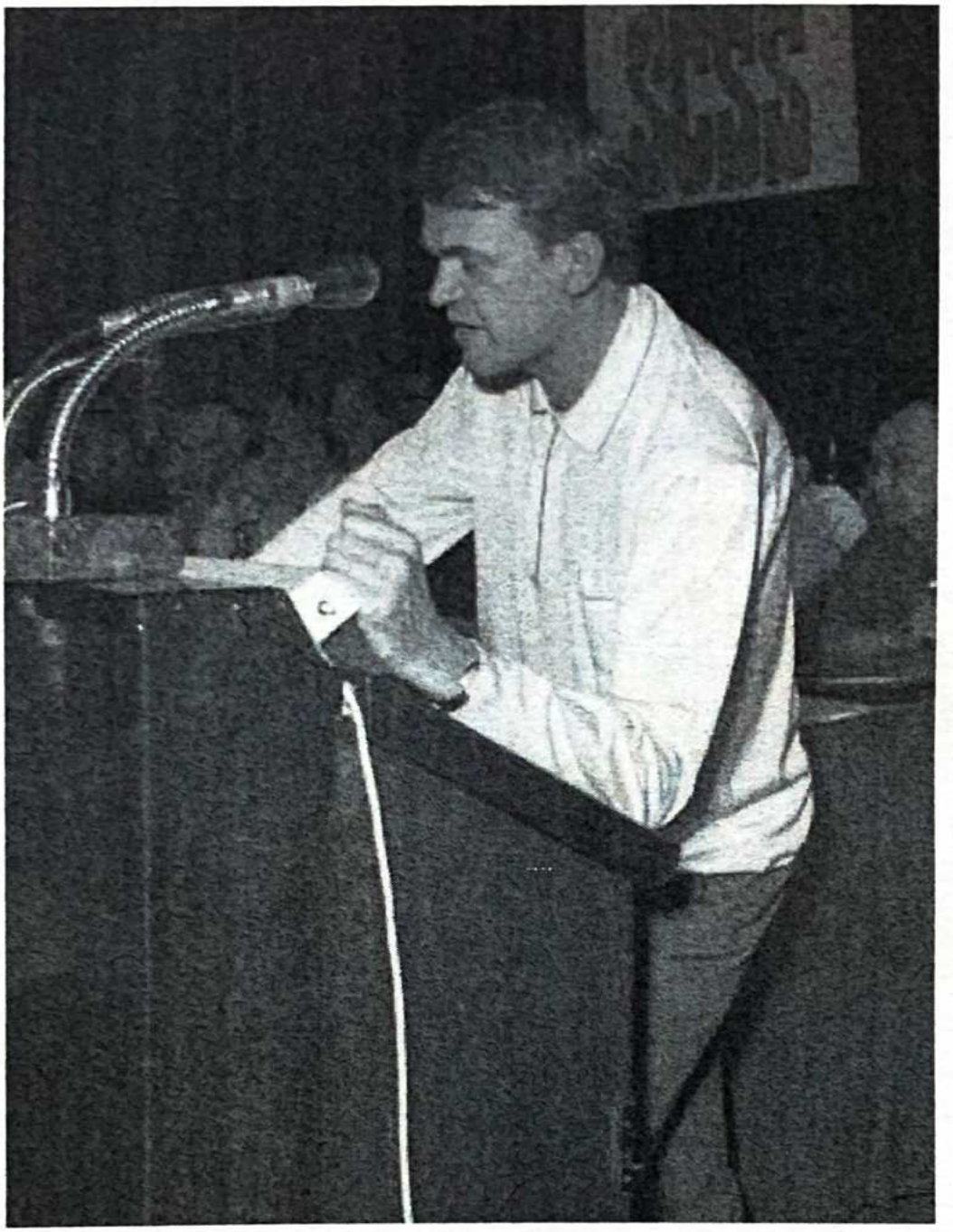

(ميلان كونديرا)، أثناء المؤتمر الرابع للأدباء
(التشيكوسلوفاكيين) في (براغ) جوان ١٩٦٧.
عدسة (جوفان ديزورت).

«ولد (ميلان كونديرا) في (تشيكوسلوفاكيا). انتقل إلى فرنسا عام ١٩٧٥.» السيرة الذاتية الوحيدة في كتبه تبدو كما لو أنّها تزدري وتسخر من كتّاب السِّير.

عندما أبصر النور في (برنو) ـ تُنطق بيرينو ـ عاصمة (مورافيا) والمدينة الثانية في كلّ (تشيكوسلوفاكيا) الحديثة. كانت البلاد قد تحررت منذ ١٩١٨ من الإمبراطورية النمساوية المجرية، حيث كانت فسيفساء من الجنسيات واللغات التي تضم ٥٠ مليون ساكن، تمتد إلى أوكرانيا، وتعبر فيها مختلف اللهجات القومية. نوع من المجاز الأوروبي، حسب (كونديرا)، «أقصى ما يمكن من التنوع في أدنى مساحة ممكنة»، شرح ذلك في «مختطف غربي»، الذي نُشر سنة ١٩٨٣ في صحيفة (النقاش).

أب موسيقاروعازف بيانو

(برنو) ضاحية ترزح تحت ثقل كاتدرائية وقلعة. وبالرغم من تلالها، لم تكن بسحر (براغ)، غير أنّها مركز ثقافي حيّ: ١٣٠ كم فقط هو ما يفصلها عن (فيينا)، العاصمة الصاخبة حيث يتم ابتكار حداثة القرن الجديد -الرسامون كليمت وشيلي، فرويد والتحليل النفسي، والثورة الموسيقية لألبان (بيرغ)، ثم ماهلر.

الجو العام كان عالميا: من الغريب اليوم إيجاد ملصق سياحي لـ»نقابة إقليمية للمبادرات» يخص المدينة، يعود تاريخه إلى ١٩٣٦، يتباهى بلغة فرنسية بمزايا برنو. ففي ذلك الوقت، أشخاص كثر في (تشيكوسلوفاكيا) كانوا يتكلمون الألمانية.

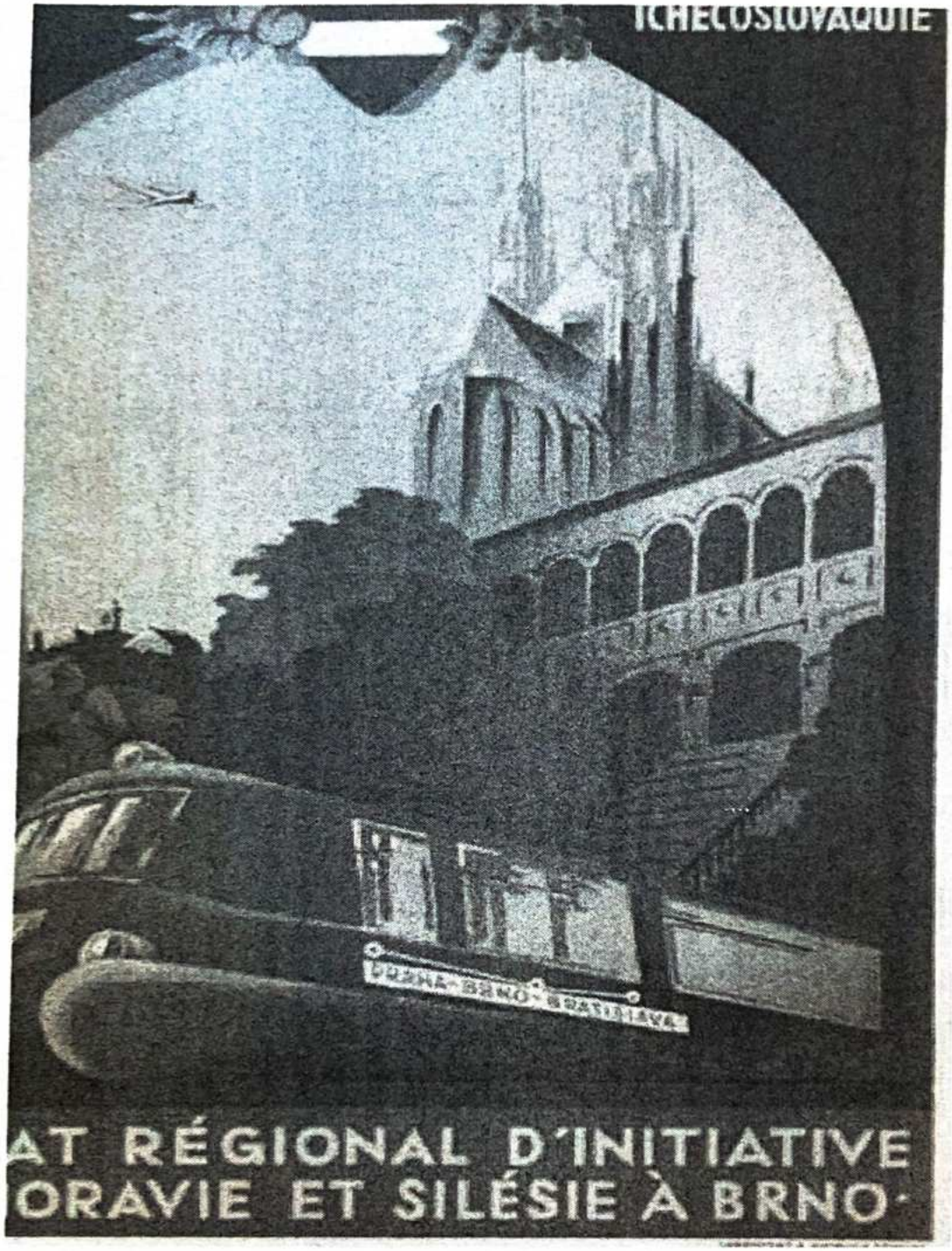

صورة ملصق سياحي للنقابة الإقليمية
لمدينة (برنو) تعود لعام ١٩٣٦

لم ينطق الكاتب (كونديرا) يوما كلمة واحدة عن أمه (ميلادا). ظلّ جمالها مصونًا في كتاب الضحك والنسيان (١٩٧٩)، أكثر كتبه قربا من حياته وشخصيته. فالمرجع الرئيسي للرواية كان والده، (لودفيك كونديرا)، عازف البيانو الماهر والموسيقار، أستاذ في (الكونسرفتوار)، وعميد مستقبليّ لأكاديمية برنو الموسيقية، بعد الحرب. ذو عقلية طلائعية: «عام ١٩٢٠، جلب من باريس قطع بيانو موسيقية لـ(داريوس ميلهود)، وعزفها في (تشيكوسلوفاكيا) أمام الجمهور الضئيل والمتناثر (الضئيل جدا) للحفلات الموسيقية العصرية» يروي (كونديرا) في لقاء، نُشر في ٢٠٠٩ مع ناشره (غاليمار).

والد (كونديرا) كان تلميذا للمؤلف الموسيقي (ليوس جاناسيك)، غير معروف كثيرًا في فرنسا. إذ حاول (ميلان) في باريس إخراجه من الظل، عبر مقالات وثق فيها حتى على حفلاته الأوبيرالية أو رباعياته في «بروفة» أو «عالم الموسيقى»، ـ احتفظ الموسيقي بينوا ديتورتر بهذه المقالات ـ أولئك الذين عرفوا الشقة الأولى للزوجين (كونديرا)، شارع (ليتري) في حي (مونتبارناس) سيتذكرون حتما الصور الثلاثة التي تؤطر تلك اللحظات والشخوص في براويز مكتب الكاتب: واحدة للفييني الشهير (هيرمان بروش) مثله الأدبي الأعلى، الأخرى لـ(جاناسيك)، والثالثة والأخيرة لوالده.

ناشط شيوعي متحمس

ورث الشاب أصابع والده الطويلة وأذنه الموسيقية اللاقطة. «في أحدى الأيام، عندما زارني (ميلان) في شارع (باستور)، يحكي الصحفي السابق في (لوفيغارو) والأستاذ في معهد الدراسات السياسية بباريس (آلان جيرار سلامة)، وهو صديقه منذ عام ١٩٧٥، قمت بعزف النوتات الأولى من افتتاحية (الكونسيرتينو) الشهير لـ(جاناسيك)، على البلايال[١] الخاص بي، نهض متحمسًا وأصلح لي إحدى النوتات أثناء عزفه، تربى الطفل الوحيد في مدرسة صارمة وجادة.

في **الوصايا المغدورة**، الصادرة عام ١٩٩٣، يحكي أن والده لم يتحمل إحدى ارتجالاته على البيانو: «هرع إلى غرفتي، رفعني عن المقعد، وحملني إلى غرفة المائدة، ليضعني تحت الطاولة، باشمئزاز».

---

(١) البلايال: إحدى أقدم ماركات البيانو في فرنسا، تأسست عام ١٨٠٧، بواسطة (إغناس بلايال).

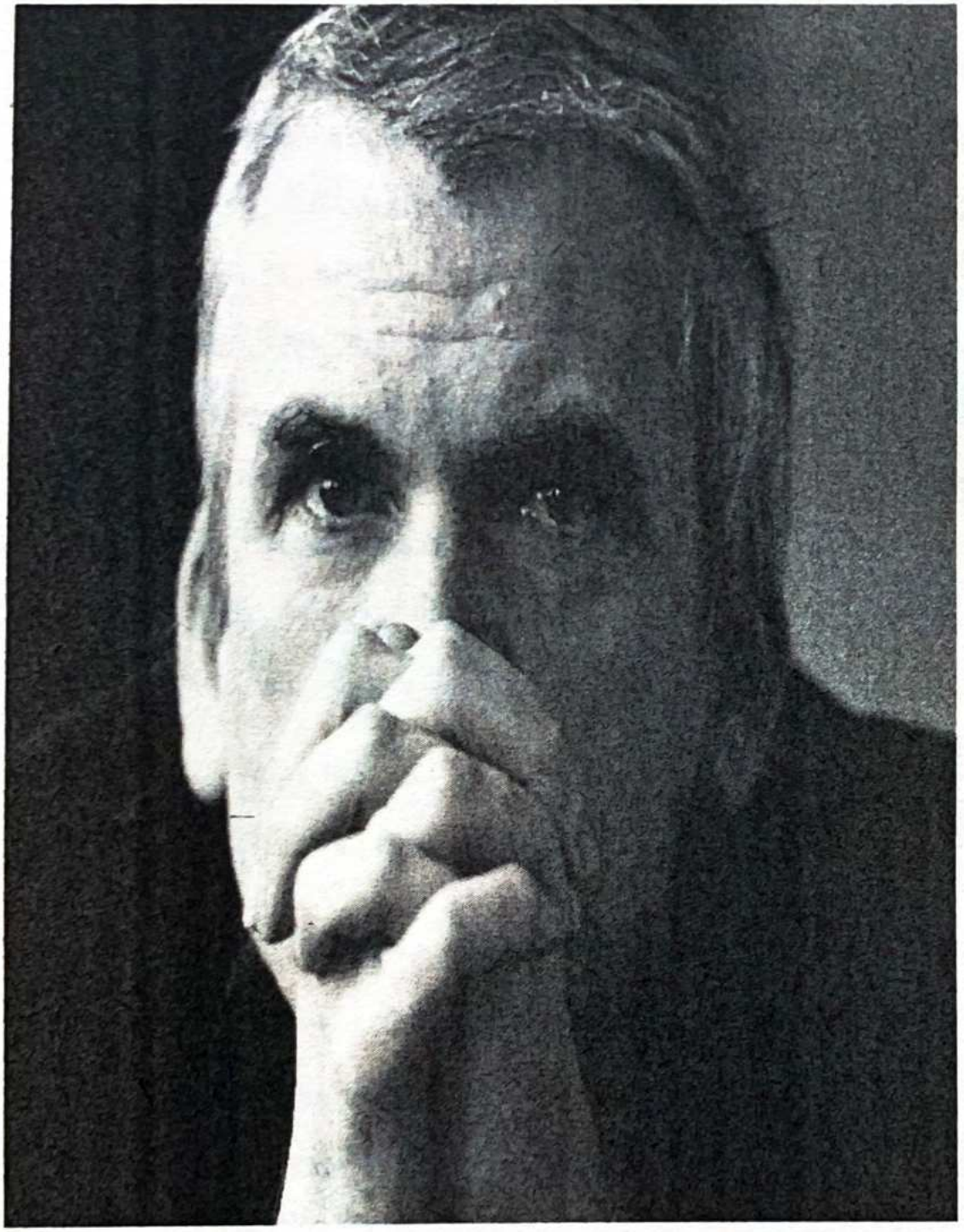

ميلان كونديرا عام ١٩٨١. عدسة غروسيتي/ ليماج

أحد الأساتذة الموسيقيين لـ (كونديرا) الشاب، يُدعى (بافال هاس)، وهو صديق والده، ينتمي للطائفة اليهودية، ويصفه أنّه أحد أكثر تلامذة «المعلم» (جاناسيك) موهبة. أستاذ لطيف، صاحب مزاج يميل إلى الكآبة والغموض، وهو شقيق لممثل (تشيكي) أسطوري، (هوغو هاس). نحن الآن في نهاية عام ١٩٣٠. يبلغ (كونديرا) من العمر ١٠ سنوات ويزوره بشكل منتظم حاملا دفتره نوتاته الموسيقي. في أحد الأيام توقف (بافال هاس) عن استقبال تلامذته في شقته. وراح يغير عنوانه بشكل مستمر ومتوجس، مضطرا إلى جرّ البيانو الصغير خاصته من بناية إلى أخرى. لم يكن أحدا يفهم سرّ هذا التواري لكن في النهاية حمله موكب من معسكر الاعتقال (تيريزين) إلى معسكر (أوشفيتز) حيثُ مات في أكتوبر١٩٤٤.

> «أسرتني الشيوعية بقدر ما أسرني سترافينسكي، وبيكاسو، والسيريالية»، اعترف في «عالم الكتب»، عام ١٩٨٤.

بيانو، ألتو (كمان متوسط)، كلارينيت (مزمار)، طبلة: دخل (كونديرا) إلى الحياة كملحن. وكأي شيوعي متحمس، بدأ يقرأ (ماركس) وينغمس بشغف منذ سن ١٦. بعد سنتين، عام ١٩٤٧، انضمّ إلى حركة شباب الحزب. نزل الستار الحديدي[1] رغم ذلك على

---

(١) الستار الحديدي: عبارة أول من استخدمها (ونستون تشرشل) في الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي في ٥ مارس ١٩٤٦. وكانت العبارة تشير إلى سياسة العزلة التي انتهجها الاتحاد السوفييتي السابق بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أقام حواجز تجارية ورقابة صارمة، عزلت البلاد ودول أوروبا الشرقية التي كانت تسير في فلكه عن بقية العالم.

أوروبا، وقسّمها إلى نصفين. بعد عام جاءت ضربة (براغ) القاصمة، التي نظمتها موسكو لتنصيب الحزب الشيوعي (التشيكوسلوفاكي) على رأس الحكم، وجعلته يضطرب. «قرب سنة ١٩٤٨، أنا أيضا (...) أشدت بالثورة.» قال (كونديرا) لصحيفة الحرية في ١٩٨١. «أسرتني الشيوعية، بقدر ما أسرني (سترافينسكي)، و(بيكاسو)، و(السريالية)»، أضاف عام ١٩٨٤ في عالم الكتب. «لقد حكى لي أن والده جعله أيضا ينضم إلى الحزب»، هذا ما شهد به (آلان فينكيلكراوت).

«أصبحت (برنو) صغيرة جدا»

حسِب آمال والدي أنّي سأصبح موسيقيًا. مثل عائلة أطباء، حيث نتوقع (...) أن الابن سيأخذ المشعل، يحكي (كونديرا) في برنامج عالم الموسيقى. في سن ١٨ أو ١٩، يمكن القول أنّي خنت والدي – ليس شخصيًا، على العكس، لقد أحببته كثيرا على الدوام. إنّما خيبت آماله (كونديرا) الشاب اختار الأدب.

أول نص مطبوع له، عام ١٩٤٧ كان قصيدة مهداة إلى ذكرى (بافال هاس)، أستاذه العزيز الذي علّمه التأليف الموسيقي. إذ يُعدّ تكريمًا للموسيقى. وأشياء أخرى كثيرة بينهما..

«إننا نجهل ذلك في فرنسا، ولكن (ميلان كونديرا) كان متزوجا لفترة قصيرة بابنة (بافال هاس) وقد كانت زيجته الأولى» هذا ما أشار إليه مدير المعهد الفرنسي بـ(براغ)، (لوك ليفي)، الشغوف بمصير كاتب المزحة. كانت مغنية أوبرا لفترة ثماني سنوات. هي الآن في سن ٨٢ عاما، وما تزال (أولغا هاس) تعيش في (برنو)، حيث نشرت إحدى الصحف صورا لها بملابس الآداء. «لم يصرح أو يكتب (كونديرا) شيئا أبدا بخصوصها»، صرح المستشار الثقافي.

خلال هذا الاتحاد القصير، تقاطع طريق (كونديرا)، من بعيد، مع وجوه فرنسية، عادت بعد ذلك لتلعب دورًا رئيسيا في حياته. والدة مغنية (برنو) الأوبيرالية الشابة، طبيبة وروسية، وقد كانت الزوجة الأولى للعالم اللغوي الشهير (رومان جاكبسون). اختلط (جاكبسون) في موسكو بالطليعة الروسية، في باريس نشأت صداقة قوية بينه وبين الروائية (إلزا تريولي) ورفيقها (لويس آراغون)، الذي ومنذ ١٩٤٨، ومثل أيّ ستاليني حقيقي بدأ في القيام بزيارات طويلة منتظمة في (تشيكوسلوفاكيا).هل كان جاكبسون الذي تعوّد على التنقل مثله بين باريس و(براغ)، هو من قدم (كونديرا) الشاب لـ(آراغون)؟ واصل الكاتب الشيوعي الفرنسي، في كل الأحوال، مسيرته، حتى أنه أشرف في (براغ)، على تقديم إحدى مسرحياته ـ والكتابة المسرحية واحدة من نشاطاته التي اندثرت اليوم.

> «بسبب درس (كونديرا) حول العلاقات الخطرة، قام فورمان بفيلمه» صرح ميلوسلاف سميدماجر.

غادر (كونديرا) بلدته إلى العاصمة. «أصبحت (برنو) صغيرة جدا»، حسب (ميلوسلاف سميدماجر)، الذي يعدّ فيلما وثائقيا حوله. منذ ١٩٥٣، وهو يلقي دروسا حول «تاريخ الأدب العالمي»، ثم حول «نظرية الرواية» في (فامو)، كلية السينما. أدار ندوة أيضا عن السيناريو. كتب في السيرة الذاتية الوحيدة المعروفة، الموكلة إلى السلطات الفرنسية، قبل قدومه إلى فرنسا، والتي تمكنت (لوموند) من الاطلاع عليها: «جميع الوجوه السينمائية التشيكية تقريبا، المعروفة اليوم كانوا من تلامذتي». من بين هؤلاء جيري

منزل، الذي يطلق عليه «الغودار التشيكي»[1]، ولكن أيضا مخرج المستقبل الأمريكي ميلوس فورمان، لاجئ آخر. «بسبب درس (كونديرا) حول العلاقات الخطرة قام فورمان بفيلمه.» هكذا صرّح (سميدماجر).

(١) غودار: نسبة إلى المخرج السينمائي الفرنسي الكبير (جان-لوك غودار)، ولد في ١٩٣٠، وأحد أبرز أعضاء حركة الموجة الجديدة السينمائية، حيث تتحدى العديد من أفلامه الأعراف السينمائية المتبعة في هوليود أو في السينما الفرنسية في تلك الفترة. يعتبره البعض أشدّ صانعي أفلام الموجة الجديدة تطرفا. تعبر أفلامه عن آرائه السياسية ومعرفته بتاريخ السينما وكثيرا ما يستعين بأفلامه بالفلسفتين الوجودية والماركسية.

من الشِعر إلى الرواية

في ذات الفترة تقريبًا، في عام ١٩٥١، في مطعم محطة (برونتال)، شمال (مورافيا)، كان ثمة فتاة صغيرة في السادسة عشر، جميلة، سمراء، نشيطة، كل طاقتها مستنفدة في تقديم البيرا (المشروب) للزبائن. لم يكن الشيوعيون «المصلحون» قد وصلوا بعد إلى السلطة. بعد الذي حصل في (براغ)، تم نفي والدته المطلقة خارج العاصمة، أما والدها فقد كان مسجونا في حالة سيئة. (فيرا هرابانكوفا)، ١٦ سنة، لم ترغب أبدا الانضمام إلى الرواد، منظمة شباب الحزب، ولا للشباب الاشتراكي، و»حتى لا تصبح مجنونة»، حفظت عن ظهر قلب أبياتا لـ (ديسنوس) وفتاة الموت الصغيرة لـ (غوركي)، إضافة لدروس الشعر التي كانت تأخذها.

> «أولى قصائده كانت قومية ونضالية» يحكي (جون دومينيك بريار).

وكما هو معروف في مركز أروبا، فإنّ الشعر أكثر من مجرد تخصص، إنّه «جزء من صميم الحياة» يصفها (ستيفن زفايغ). نشر (كونديرا) بنفسه عدة دواوين طيلة اثنتي عشرة عاما. «قبل التطور نحو قلب إلهامه –العلاقات بين الرجل والمرأة، خصوصا–

أولى قصائده كانت قومية نضالية» يحكي (جون دومينيك بريبار)، مؤلف سيرة «أدبية» تحمل عنوان (ميلان كونديرا)، حياة كاتب (دار كتابة، ٣٣٦ صفحة، ٢٠ يورو). بعض النصوص كانت تشيد بـ(ستالين).

أراد الشاعر قلب الصفحة متنقلًا لمرحلة تعبّر عن توجهاته. ومع دخوله عام ١٩٦٠، اختار الرواية بشكل نهائي. «منعطف مصيري في مشروعه الأدبي وفي حياته، سيلهمه لاحقا «الحياة في مكان آخر» (١٩٧٣).» يقول (كريستيان سلمون). فبطل هذه الرواية (جارومیل) كان شاعرا شابا ورقيقا جدًّا، يعيش انقلاب (براغ) بحماس هذياني، قبل أن يصبح مخبرا للشرطة.

في ١٩٦٣، بدأت **غراميات مرحة**، في التأسيس لأسلوب (كونديرا) الذي يتميز بدرجة عالية من الوعي، السخرية، التهكم وخيبة الأمل، وكانت نقطة انطلاقة مسيرته الأدبية، تحت عيون عرّابيه اليقظة.

إحدى قصص المجموعة، تمت ترجمتها إلى اللغة الفرنسية، في مجلة (سارتر) ***العصور الحديثة***، قصة أخرى وجدت ملجأ في ***الحروف الفرنسية*** لـ(أراغون). تحيا فرنسا!

«هل تجيدين استعمال الآلة الكاتبة، آنسة (هرابانكوفا)؟»

لا يحب إثارة الموضوع، وقرائه يتجاهلونه دوما، ولكن في (براغ)، بقي (كونديرا) طيلة تلك السنوات، مثقفا قريبا من «الحزب». في جوان١٩٦٧، في قاعة بقصر فينوهرادي، ترفرف فيه الأعلام الحمراء، افتتح المؤتمر الرابع للكتاب التشيكوسلوفاكيين. مساهمته كانت بعنوان: «إعادة كرامة الأدب وجودته». في ذلك اليوم حيث تمّ الإعلان عن موت الأدب التشيكي، فتح (كونديرا) بالرغم من ذلك خرقا. عوض الاحتفال بتفانيهم في سبيل النظام الشيوعي، استحضر المتحدثون بعده مطلب إلغاء «الصنصرة». وهو ما جعل السلطة الشيوعية تضطرب للمرة الأولى.

في أعقاب ذلك، تمّ استبعاد كتاب كثر وفقًا لسياساتها، أمّا (كونديرا) فقد تم طرده مع مذكرة لوم. بعد أيام، تزوج بشكل سري من مقدمة تلفزية، مميزة جدا وخفيفة الظل، تصغره بست سنوات. إنّها فيرا، فتاة محطة برونتال الشابة. ربحت في مسابقة الشعر، ثم تمّ انتدابها من قبل الإذاعة والتلفزيون المحلي. تعلمت المهنة على الميدان، بين (براغ) و(برنو).

هكذا تروي قصة لقائهما الأول، في مقابلة لفائدة الصحيفة التشيكية (هوست): في إحدى الليالي، في شارع (لينين) بـ(برنو)، اعترضها شاعر تعرف قصائده. كان يتجول مع رجل قدمه لها أنه (ميلان كونديرا). في موعدهما الأول سألها: «هل تجيدين استعمال الآلة الكاتبة، آنسة (هارابانكوفا)؟» ثم بعد حصة عمل :»سوف أتصل بكِ» إنّه السلوك «الكونديري» بامتياز.

في سن ٣٢، أصبحت زوجة الروائي نجمة التلفزيون التشيكي «أشبه بكريستين أوكرينت»[١] لخص (كونديرا) الأمر هكذا أمام صديقه الباريسي (سلامة) «مثل آن سينكلار» أوردت لنا (فيرا). نفس السمعة على أي حال، لأنها كانت متحدثة أكثر من أي شيء آخر، تحب أن تقول مذيعة. في ذلك الوقت كانت تخرج مع مجموعة مرحة من الأصدقاء. كان المارة يبتسمون لها في الشارع ويحيونها. الجميع يميز عينيها اللامعتين وقصة شعرها التي تُعرف بقصة جين سيبيرغ[٢].

---

(١) كريستين أوكرينت: صحفية بلجيكية، تمارس مهنتها في التلفزيون الفرنسي.

(٢) جين سيبيرغ: جين دوروثي سيبيرغ ممثلة أمريكية عاشت بين ١٣ نوفمبر١٩٣٨ و٣٠ أغسطس١٩٧٩، عاشت نصف حياتها في فرنسا، وتألقت في ٣٤ فيلما في هوليود وأوروبا.

مقدمة بقلم (آراغون)

أنهى (كونديرا) «المزحة» منذ عامين. الكتاب مازال يُقرأ في مكاتب الصنصرة، لا يبدي تفائلًا بالمرة. تلزمه ترجمة.

واحد من أصدقائه (التشيك) الكاتب (أنطونين لياهم)، والذي تمّ إقصاؤه من الحزب بعد مؤتمر الكُتاب الشهير، سلم المسودة لـ(أراغون) عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي. «لقد كان (أراغون) يرى في (كونديرا) أخًا يصغره باثنين وثلاثين عاما، هذا ما قاله «الأراغوني» (رينالد لاهانك) الأستاذ الفخري للأدب في جامعة (لوران). لقد التزم بشكل تام أمام أصدقائه في (غاليمار) ليصدر الكتاب باللغة الفرنسية، ووعد بكتابة مقدمة له، رغم أنّه لم يقرأه بعد.»

مفاجأة، صدرت المسودة أخيرًا في أفريل١٩٦٧ في (تشيكوسلوفاكيا) دون أيّ تعديل. لكن الحدث الأفضل كان: أنّه في العام الموالي، وفي أوج ربيع (براغ)، وبعدما تمّ الاستغناء عن الصنصرة رسميًا، نال (كونديرا) على جائزة اتّحاد الكتاب التشيك. بيعت ١٢٠ ألف نسخة من المزحة في بلاده، في حين كانت (غاليمار) في باريس تستعد لترجمتها لخريف ١٩٦٨.

ولكن في الليلة الفاصلة بين ٢٠ و٢١ أغسطس: احتلت الدبابات السوفييتية العاصمة.

«كانت الطائرات تحلق في السماء، تروي لنا (فيرا كونديرا). جاء التلفزيون للبحث عني في بيتي في الخامسة صباحًا، لأذهب إلى الأستوديو.» مازال كثير من التشيكيين يتذكرونني: «كانت هي من أعلن للمشاهدين غزو قوات حلف (وارسو)[(١)]». خلت لوهلة أننا داخل رواية من روايات زوجها حيث تقلب الصدف كل الحبكة.

> بعد أغسطس١٩٦٨، كان زمنا لبداية سوء فهم كبير. هل يريد (كونديرا) الاعتراف به ككاتب؟ تم الاحتفال بالمثقف الملتزم.

الأذن مشدودة إلى الترونزيستور في فرنسا، عدل (أراغون) مقدمته إلى أقصى حد - ظلت محتفظة بمديحها دائما- للتعليق على الأحداث والتعبير عن استنكاره لتدخل الدبابات الروسية. سُمح لـ(كونديرا) بالذهاب إلى باريس للترويج لكتابه. الصحافة

---

(١) حلف وارسو: أو معاهدة وارسو واسمها الرسمي معاهدة الصداقة والتعاون والمساعدة المشتركين، هو منظمة عسكرية سابقة لدول أوروبا الوسطى والشرقية الشيوعية، أسست عام ١٩٥٥ لتواجه التهديدات الناشئة من أعضاء حلف شمال الأطلسي (الناتو) وكان من أبرز المحفزات لإنشائها هو انضمام ألمانيا الغربية لحلف الناتو بعد إقرار اتفاقات باريس. استمرت المنظمة في عملها خلال فترة الحرب الباردة حتى سقوط الأنظمة الشيوعية الأوروبية وتفكك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ ووقتها بدأت الدول في الانسحاب منها واحدة تلو أخرى. حل الحلف رسميا في يوليو ١٩٩١.

ساعدت الرواية. «شهادة حول (تشيكوسلوفاكيا) في ظلّ السنوات الستالينية»، عنوان في صحيفة. إنّها بداية سوء فهم كبير. هل يريد (كونديرا) الاعتراف به ككاتب؟ تمّ الاحتفال بالمثقف الملتزم. «لقد كنت بالنسبة للجميع، جنديا فوق دبابة» قال بنبرة مازحة في لقاء مع الصحيفة اليومية الإيطالية الجمهورية (لاريبوبليكا).

معارضة فكرية ضد التطبيع

مازال يؤمن بالشيوعية ذات القواعد الإنسانية، وتهجم عليها مع كاتب آخر، ليس شيوعيا، هو: (فالاك هافيل) «في مقال بتاريخ ديسمبر ١٩٦٨، عاب على الرئيس التشيكي اللاحق «استعمال حجج شخص لم يقبل أبدا الشيوعيين المثاليين»، يذكّر (رينالد لاهاندي). لكن على (كونديرا) الاستسلام للواقع وترك الأوهام: أصبح النقد «الإصلاحي» مستحيلا. أصبح يُنظر إليه الآن على أنّه أحد القادة الفكريين المعارضين للتطبيع.

في عام ١٩٦٩، تحصلت (فيرا) على ترخيص من التلفزيون. «كنت أمسك تمساحا بيد (مكافأة مهمة من التلفزيون الوطني)، وفي اليد الأخرى شهادة رخصتي»، قالت مازحة في هوست. في العام الموالي طُرد زوجها من الحزب، ثم تلقى بدوره رسالة من كلية السينما، تمكنت (لوموند) من قراءتها. «زميلي العزيز، كتب عميد الكلية، بعد مراجعة نشاطاتك في السنوات ١٩٦٨ و١٩٦٩، قرر المجلس بضرورة إلغاء عقد عملك بدءًا من ٣٠ سبتمبر ١٩٧١.»

> «منذ ١٩٦٨، كان أبي على رأس القائمة بسببي» قال (كونديرا) لعالم الموسيقى.

«من ليس معنا فهو ضدنا»، ردد الشيوعيون أثناء الاحتلال الروسي. سُحبت كتب (كونديرا) من المكتبات العمومية والخاصة. «لم يعد لي وجود»، لخص الأمر لـ(فرونسوا نوريسي). كان والده قلقا أيضا بسبب النظام. نموذج التسجيل الأول لـ(كونسيرتينو جاناساك)، التي جهزها (لودفييك كونديرا)، أُتلفت. «أصبح في القائمة منذ ١٩٦٨ بسببي»، قال ابنه لعالم الموسيقى.

بعد عشرة أعوام من فقدان القدرة على الكلام، مات هذا الأب الذي لطالما كان معجبا به، في مايو ١٩٧١، دون إكمال الكتاب الذي أراد تخصيصه لـ(سوناتات بيتهوفن). وصل طقس الخوف للحد الذي جعل (كونديرا) لا يتلقى سوى رسالتي تعزية. عزف أربعة عازفين يوم الجنازة رباعية جاناساك الثانية: «في زمن الاحتلال الأسود ذاك، تم منعي من كل حوار» قال (كونديرا) في أحد اللقاءات. حضر مراسم الجنازة رجال الشرطة السرية وهم يرتدون البدلات الرمادية، والمكلفين بمراقبة الروائي.

(2)

ميلان كونديرا،
كاتب تحت رقابة مكثفة

(كونديرا) ـ قصة حياة ٢/٦ .

في أيام الشيوعية، كان الكاتب التشيكي مراقبا من طرف جواسيس البوليس السري لبلده. استطاعت (لوموند)، في (براغ)، مراجعة الأرشيف، حيث كان مسجلا تحت اسمين رمزيين: «الشاعر»، ثم «النخبوي».

١ جوان ١٩٧٤. الكاتب (ميلان كونديرا)، الاسم الرمزي «النخبوي ١»، «غادر منزله، برأس عاري، مرتديا بدلة غامقة، حذاء أسود. ترافقه زوجته. انتظرا قليلا أمام مسكنهما. في الساعة ١٠ و٥٠ دقائق، وصلت سيارة تحمل لوحة رقم (أ.ب.ج ٦٧٩٧) أمام منزل النخبوي١. سائق السيارة هو (ج). كان بصحبة شخص مجهول. صعد المعنيّ وزوجته داخل السيارة، التي انطلقت في اتجاه شارع ريكنا، حيث توقفت.»

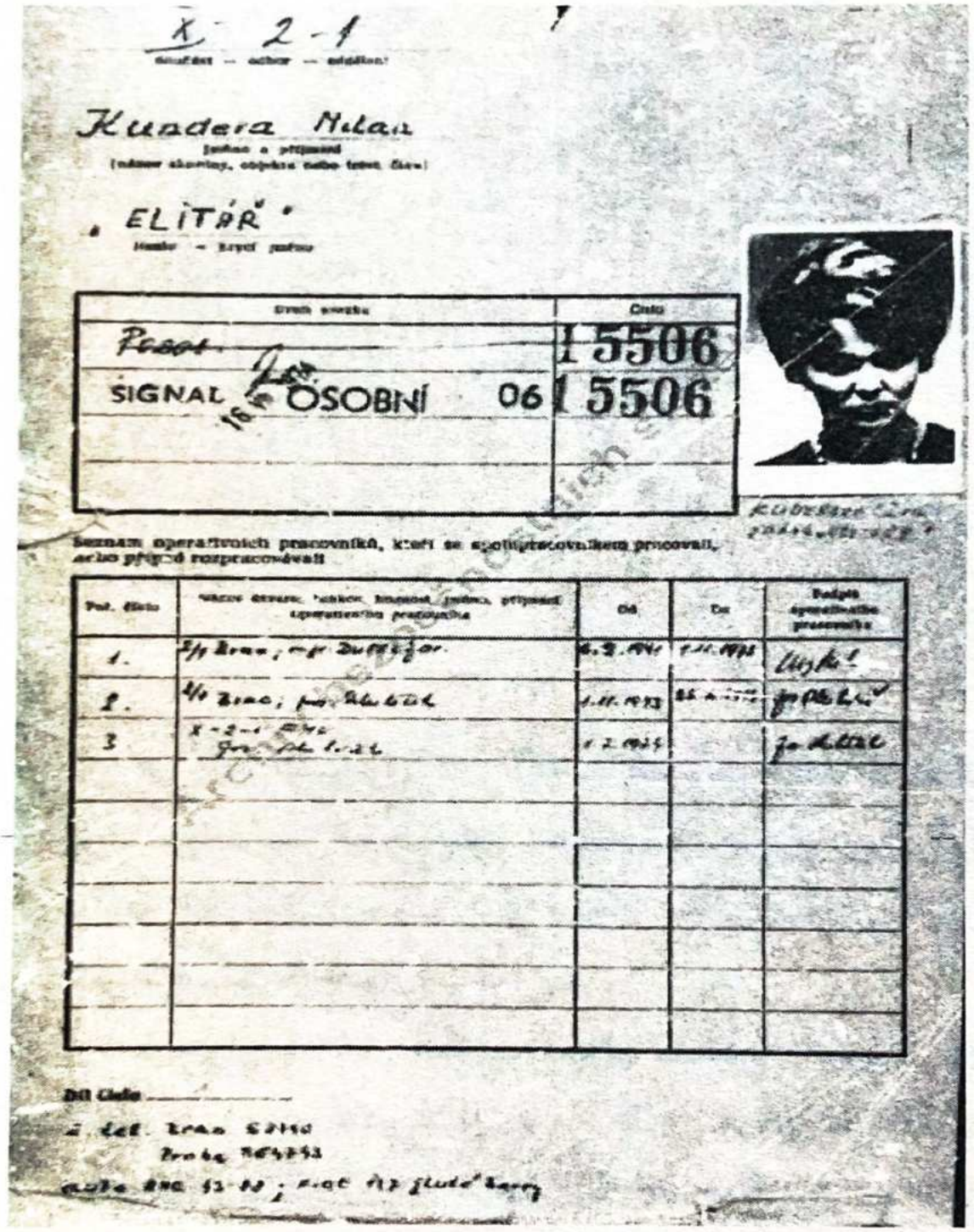

X - 2 - 1

Kundera Milan

„ELITÁŘ"

SIGNAL OSOBNÍ 06	15506

صفحة من ملف «إيليتار» الذي وضعته الشرطة السرية التشيكوسلوفاكية لـ(ميلان كونديرا). (لوموند).

يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٣. النخبوي ٢، وهو الاسم الرمزي الذي يُشار به لـ(فيرا كونديرا)، «ذهبت إلى مقهى المتحف (الاثنوغرافي) بـ(برنو) لمقابلة **ز. ك**، وهو ممثل يعيش مع الكوميدية **ف.ف**. تم تحديد الموعد مسبقا. أحدهما وصل قبل الآخر. بعد محادثة دامت حوالي نصف ساعة، رأى مصدرنا (كونديروفا) زوجة (كونديرا) باللغة التشيكية تطلب من نادل المقهى ورقة بيضاء بدأت تكتب فوقها. يذكر النص «**أ. س**»، ورقم هاتفه. ثم أعطت (فيرا كونديرا) هذه الورقة لـ (**ز. ك.**) رأى مصدرنا بعد ذلك (كونداروفا) تناقش نادل المقهى حول تزاوج البوكسر[١]. لم تكن متأكدة أن كلبها البوكسر هونزا، ذكر سلالة نقية، ويستطيع تخصيب أنثى صبي المقهى.»

> ليس أقل من ٢٣٧٤ صفحة مثقوبة، مختومة بالطوابع «سري للغاية» أو «سريّ مطلق» محفوظة في معهد دراسة الأنظمة الشمولية.

طيلة عقد السبعينات وحتى أواسط الثمانينات من القرن الماضي، كانت كل حياة (ميلان كونديرا) ترقد حبرا على ورق. ليس أقل من ٢٣٧٤ صفحة مثقوبة ومختومة بطابع «سري للغاية» أو «سرّي مطلق»، مرقونة على الآلات الكاتبة. محاضر الجلسات هذه، العبثية والتي تكاد تبعث على السخرية في كثير من الأحيان، تمثل جزءا من الملف المخصص للكاتب من قِبل الشرطة السرية (التشيكوسلوفاكية). تمّ حفظها في (براغ) لدى معهد دراسات الأنظمة الشمولية، الذي بداية من سنة ٢٠٠٧ قام بتجميع كامل أرشيف وزارة الداخلية والذي يمثل ميراث الفترة الشيوعية، وسيلة إثبات خطية على حالة الفصام العامة والمفزعة.

---

(١) البوكسر: فصيلة من الكلاب

مخطط على مرحلتين

تجسس على المكالمات الهاتفية، محادثات مسجلة للزوجين في شقتهما، تأويلات، لقطات مصورة، مراسلات تم إيقافها وفتحها... كان الزوجين (كونديرا) موضوعين، كما آخرين كثر، طيلة عشر سنوات، تحت المراقبة المشددة لجهاز أمن الدولة. كانوا ضحايا لمخطط منقسم إلى مرحلتين، يلخصه المؤرخ (بيتر زيديغ)، الذي يشتغل على هذا الأرشيف منذ أكثر من عشرين عاما، وكشفه في الصحيفة اليومية (ليدوفي نوفيني): «يجبرونهم في البداية على مغادرة البلاد، ومن ثم يمنعونهم من العودة من الخارج.»

> «نحن خالدون في أرشيف الشرطة فقط»، قال (كونديرا) بشكل غير صارخ في كتاب الضحك والنسيان.»

آلة تصوير مخبأة في معاطفهم الشتوية، متنكرين في هيأة سائحين صيفيين بلغاريين، سيرا على الأقدام أو على متن نهر الفولجا الكبير، رجال المخابرات طوقوا، صوروا، تعقبوا الزوجين حتى في لحظاتهما الحميمية. وصلوا إلى كل شيء، مخاوف صحية أثناء الجولات في بارك كامبا، اعتبارات أدبية أو سياسية، وصولا إلى أسرار (ميلان كونديرا) من خلال عرافة معروفة تقيم في (كولن)،

على بُعد ٦٠ كيلو متر من العاصمة -كان الروائي وزوجته مهتمان بالخوارق- بالنظر إلى التقرير، فإن العرافة لم تتوانى عن التدفق وقول كل شيء لأعوان جهاز الأمن. «نحن خالدون في أرشيف الشرطة فقط»، قال (كونديرا) في كتاب الضحك والنسيان (١٩٧٩).

الطاقة التي يبذلها رجال اللون الرمادي ساحرة. بعد اللقاء الذي دار حول الكلاب الأصيلة، خلص ملازم الشرطة إلى ما يلي: «التثبت من س.ك. تحديد هوية أ.س. إعلام الزميل ب. في قسم ٢/أ (الأرقام رومانية).» ثم : «القيام بنسختين، واحدة من أجل ملف ***النخبوي*** والثاني لملف العمل.»

تريد أن تعرف ما الذي يثلج الصدر؟ شهادات كثير من الوشاة، أصدقائه أو معارفه الذين كانوا على استعداد للتعاون مع الشرطة، ودائما بحجة الضغوط الممارسة عليهم في علاقة بوظائفهم أو عائلاتهم، من قبل جهاز الأمن. كما هو الحال بالنسبة للعديد من المثقفين في ظلّ النظام الشيوعي، كان يتم نسخ محادثاتهم مع (كونديرا) بمجرد شرب كوب القهوة أو ابتلاع كأس البيرة، على صفحتين أحيانا أو ثلاثة. «قال»... «أجبت»... «اعترض على كذا»...

«عدوّ من الدرجة 2»

بعد ربيع (براغ) ١٩٦٨، بدأ البوليس السري في النظر والتركيز على قضية (كونديرا). حتى هذا الوقت، كان قائد المحاضرات في معهد السينما ـ في إشارة لكونديرا ـ ما يزال يتمتع بثقة الحزب الشيوعي. كان بإمكانه الذهاب إلى باريس، حتى لو اضطر في المقابل إلى «كتابة تقرير، أحيانا تحت التهديد»، أشار (بيتر زيديك). اتهمه جهاز الأمن بأنّه من أثّر بقوة على مسار المناقشات حول الرقابة والصنصرة، و»تحدي الإجراءات الحزبية والحكومية في المسائل الثقافية».

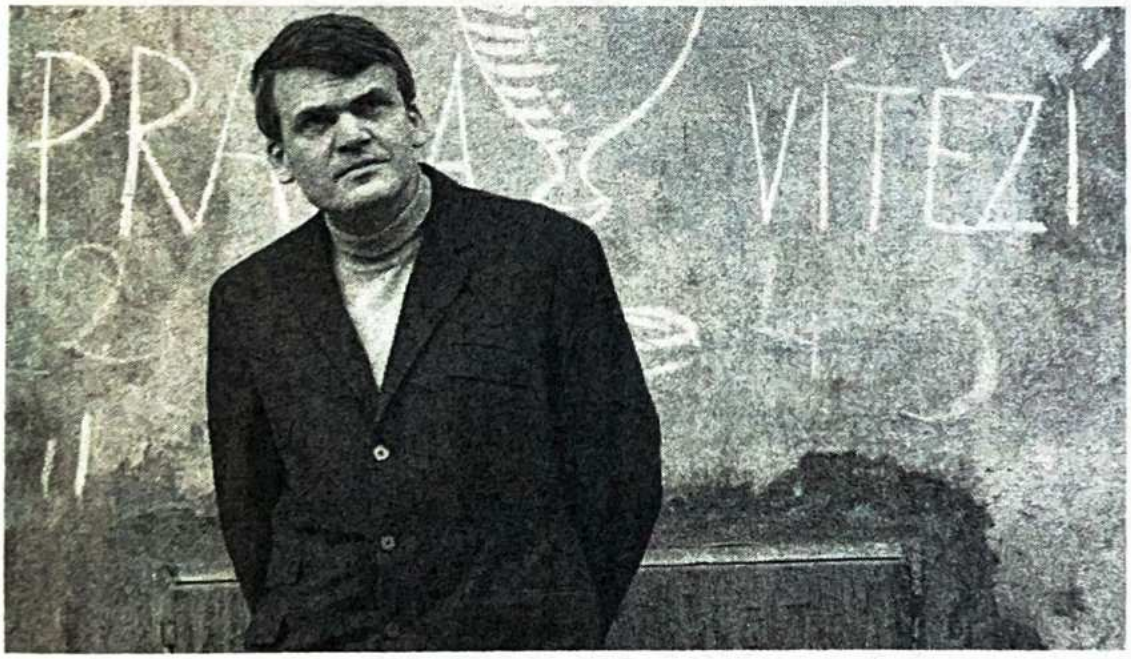

(ميلان كونديرا) في (براغ)، ١٩٦٩. (جيزيل فروند)

فُتح ملف يحمل اسم «باسنيك» في ٩ جانفي ١٩٦٨. استعاد الاسم الرمزي الذي أعطاه جهاز الأمن لـ(كونديرا) في ديسمبر ١٩٥٩، ثم أُغلِق وتم إتلافه في مايو ١٩٦٢: لا شيء مثير ليتم تسجيله. «باسنيك» تعني «الشاعر» في اللغة التشيكية. دعابة لا إرادية من الرجال الرماديين: سيكون أيضا نفس كنية (جارومیل)، بطل رواية «الحياة في مكان آخر» (١٩٧٣).

لكن بعد فصله من الجامعة في ١٩٧٠، ثمّ إقصائه من الحزب، أصبح (كونديرا) في عيون «الأجهزة» «عدو من الصنف ٢». في سبتمبر ١٩٧١، عندما كان الكاتب في ٤٢ من عمره، تمّ فتح عملية «النخبوي»، تبعها بعد بضعة أشهر «النخبوي ٢» (أرقام رومانية)، لزوجته. وقد كان تفسير هذا الاسم الرمزي الذي أعطاه جهاز الأمن: «تتجذر فيه نظرية النخبوية.»

تحولت حياتهما منذ ذلك الوقت إلى جحيم- دكتاتورية الشفافية. إذ يجب عليهم استعمال ألف حيلة. على سبيل المثال الروائي (جوزيف سكفوركي) الذي غادر (براغ) بعد الاحتلال السوفييتي، قام بفتح دار النشر (سيكستي ايت بوبليشر) / ستة وثمانون ناشر، كان يحلم بنشر أعمال (كونديرا) التي صدرت في التشيك، في البلد التي تبنته. كان يحتاج إلى موافقة الكاتب، ولكن يجب أن يحافظ الأمر على سريته. كيف يمكن أن يُرسل الاقتراح؟ في ديسمبر ١٩٧٣، تم التواصل مع سيدة تُدعى (آمبر بوسوغلو)، وهي صحفية. في مكتب الأجانب في «لوموند»، كانت هذه اللاجئة التشيكية، المتوفاة اليوم، تغطي أوروبا الشرقية والاتّحاد السوفييتي،

لعبت دور الوسيط بين الناشر والزوجين (كونديرا). إذا كانا رافضين لهذا المشروع، فرسالة قصيرة بلا معنى لـ(سيكفوركي) تكفي. إذا وافق الكاتب، «برقية أو بطاقة بريدية» مع توقيع بسيط باسم «فيرا» مع هذه الكلمات: «رغم قليل من التأخير، عيد ميلاد سعيد!» هكذا سيفهم ناشر تورينتو.

«علاقات هامة مع الخارج»

سؤال يستحوذ على أمن الدولة: هل يرغب الزوجان في الهجرة؟ للوصول إلى حقيقة الأمر، تقوم بفحص علاقاتها مع اتصالات (كونديرا) في الغرب. حتى أن أعوان الشرطة سجلوا سنة ١٩٦٩ أن (ميلان كونديرا) يدفن «علاقات مهمة مع الخارج»، لاسيما مع «عالم اللغة رومان جاكبسون»، أمريكي من أصل روسي، حيث اعتبره جهاز الأمن بالخطأ «عمه»، والذي كان في الحقيقة زوج والدة زوجته الأولى. ولكن الجهاز الأمني بات شغوفا بالأصدقاء الكُتّاب للروائي. وفي المذكرات المؤرشفة، تُبعث فجأة أمام أعيننا حقبة كاملة من عالم الرسائل..

بين ألف اسم تشيكي، ها هو اسم (فيليب روث) يظهر. تعرف الكاتب الأمريكي على (كونديرا) في (براغ) عام ١٩٧٣ (في هذه الحقبة كانت الأجهزة المحلية ترى في (روث) «عدوا»، لاسيّما بسبب تمسكه بأطروحات «الصهيونية العالمية».) لقائهما وضع حجر أساس في بداية صداقة قوية. كان كاتب عقدة بورتنوي (١٩٦٩) يحاول مساعدة روائيين محظورين في الشرق عبر تصميم وتحرير مجموعة «كتاب من أوروبا الأخرى». حتى أنّه في عام ١٩٧٥، كتب مقدمة للمجموعة القصصية «غراميات مرحة».

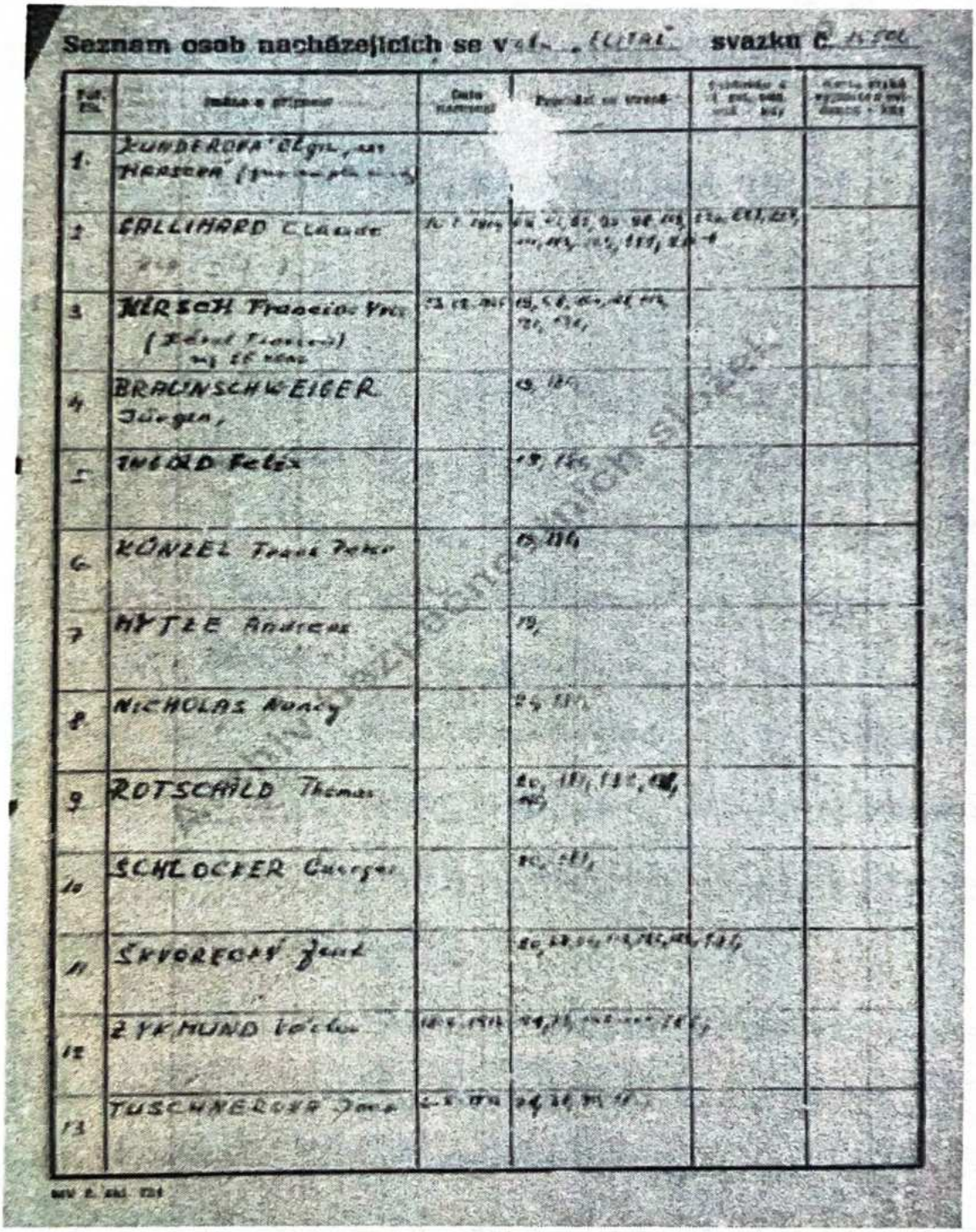
Seznam osob nacházejících se v [illegible] svazku č.

Poř. čís.	Jméno a příjmení	Datum narození	Poznámka ke trestné	[illegible]	[illegible]
1.	KUNDEROVÁ Olga, roz. HERSCH				
2	GALLIMARD Claude				
3	HERSCH Francois Vin (Hersch Francois)				
4	BRAUNSCHWEIGER Jürgen,				
5	[illegible]				
6	KÜNZEL [illegible]				
7	HYTLE [illegible]				
8	NICHOLAS [illegible]				
9	ROTSCHILD Thomas				
10	SCHLOCKER [illegible]				
11	SVOREČNÝ [illegible]				
12	ZYKMUND [illegible]				
13	TUSCHNEROVÁ [illegible]				

بعض «اتصلات» (ميلان كونديرا)
التي جردها جهاز أمن الدولة: ناشره الفرنسي (كلود غاليمار)،
مترجمه، ناشره الكندي. «لوموند».

هنالك أيضا في الأرشيف عرض لكل «عائلة» غاليمار.

هنالك أيضا عرض لكل «عائلة» (غاليمار) في هذا الأرشيف. دليل هاتفي تصحبه العناوين لجميع أفراد دار النشر القديرة تقريبا: (روجر غرينيي)، واحد من المحررين، الكاتب (كلود روي)، (فرونسوا هيرش)، (آلياس فرونسوا كيرل)، مترجم جذبه (كونديرا)، وطبعا المدير نفسه، (كلود غاليمار). هذا الأخير تعرف على (كونديرا) عندما صدرت «المزحة» في باريس، في خريف ١٩٦٨. ومنذ ذلك الوقت، اتخذ عادة الذهاب إلى (براغ) في زيارات. «أربع مرات، يتذكر ابنه أنطوان، المدير الحالي لدار النشر، كان يتحدث معي عنها في كل مرة. في ذلك الوقت لم يكن يذهب الكثير من الناشرين إلى هناك.»

بعض "السقطات"

(غاليمار) التي تنشر للشيوعي (أراغون)، ليست ذات سمعة سيئة جدا عند جهاز الأمن، حيث يعتبرونها «تقدمية»، «وتمتلك علاقة جيدة مع الحزب الشيوعي الفرنسي»... يقوم (كلود غاليمار)، في كل رحلة، بزيارة ديبلوماسية لدار النشر التشيكية ديليا.

هذا لا يمنع: زيارات للرسام الكاريكاتوري (أدولف هوفميستر)، الذي يستقبله غالبا عدة أيام في منزله، المقاهي التي يتأخر فيها، كلّ شيء مسجل في ملف «النخبوي١». كانت أجهزة الأمن تعرف تمامًا من ينتظره في المطار، من يرافقه، وتسجل مواعيد طائرته. لكنها تضع أيضا بعض المعلومات تحت العدسة المكبرة.

> «سافرت أمي عدة مرات إلى (تشيكوسلوفاكيا) بجيوب تملؤها الأوراق النقدية، يشهد (أوليفيي دوهاميل). كانت تلك حقوق الكاتب التي تخصّ (ميلان).»

حكى (ميلان كونديرا) في نصّ قصير خصّ به صحيفة المراقب الجديد عام ٢٠١١: استغلّ (كلود غاليمار) إحدى زياراته لأخذ مخطوطتين، بسرية تامة، أحدها كان «فالس الوداع». «هذا الكتاب كان بالنسبة لي بمثابة «وداع» لحياتي ككاتب» هذا ما

تحدث به على صفحات صحيفة صديقه (جون دانييل). (كلود غاليمار) فهم ذلك، وبطريقته الرقيقة، الخجولة تقريبا، شجعنا أنا وزوجتي على الهجرة.»

إحدى قارئات (غاليمار)، كانت تتبع مدير الدار باستمرار إلى (براغ). يظهر اسمها في ملف «النخبوي١»: (كوليت دوهاميل)، إنّها زوجة وزير الشؤون الثقافية، (جاك دوهاميل). «أتذكر جيدا أن أمي سافرت مرات عديدة إلى (تشيكوسلوفاكيا)، وجيوبها مليئة بالأوراق النقدية، يشهد اليوم ابنها، السياسي (أوليفيي دوهامال)، لقد كانت تلك حقوق (ميلان) من كتبه.»

وظائف صغيرة ومنفى

وكأي مثقفين آخرين كثر، وضعوا على الرفّ من طرف النظام الصارم، وحُرموا من الوظائف المرموقة، وجد الزوج (كونديرا) نفسيهما فعلا بلا دخل وبلا مصدر للمعيشة. راح كلّ واحد منهم يبحث عن عمل بسيط: أصبح (توماس) بطل كائن لا تحتمل خفته منظف زجاج نوافذ. (فيرا كونديرا)، التي جاءها عرض لتنظيف الصحون، في معرض بمدينة (برنو)، فضلت إعطاء دروس في اللغة الانجليزية في بيتها. أما (ميلان) فقد حاول أن يصبح سائق تاكسي: بلا جدوى. بعد ذلك أصبح يكتب باسم مستعار توقعات الأبراج في مجلة شبابية معروفة جدا، «عالم الشباب»، وباسم مستعار كذلك، كتب مسرحية «جاك ومعلمه»، التي تجاوزت الحدود والأعمار: إنها المسرحية التي اختار أن يمثلها (إيمانويل ماكرون) عام ١٩٩٢، عندما كان في السنة الثانوية الثالثة، أمام معلمة فرنسية، أصبحت فيما بعد زوجته.

> «فهمت الشرطة أن (كونديرا) يريد أن يذهب إلى المنفى ويستمتع به» يروي (بيتر زيديك)

دون أن يكونوا علماء نفس جيدون، ظن أعضاء جهاز الأمن أنهم فهموا ما يسيطر على تفكير وطموح (كونديرا)، وهو إكمال مشروعه. هل هذا سبب جيد لترك البلاد؟ منذ ١٩٧٤، كان يتمّ استدعائه إمّا في وزارة الداخلية، أو مكاتب الشرطة، لاختبار وكشف نواياه.

«فهمت الشرطة أنّ (كونديرا) يريد بكل سرور الذهاب إلى المنفى، يروي (بيتر زيديك). يريد النظام الشيوعي التخلص منه، ومنذ ١٩٧٤ فعلت الشرطة كلّ شيء لتسهيل الأمر عليه.» وتحقيق الرغبة السرية لصديقه الفرنسي (كلود غاليمار).

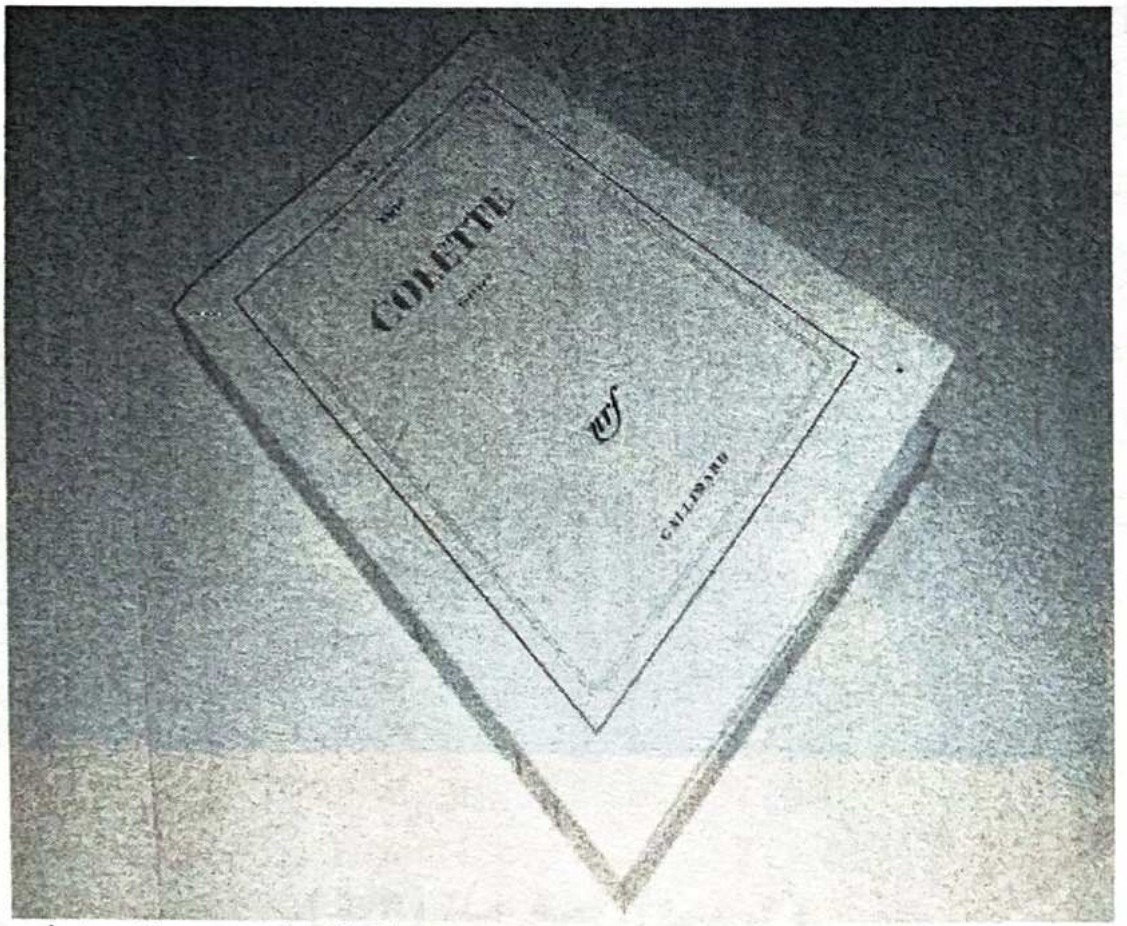

تحت غلاف مزيف، كتب خمسون صديقا لـ(كولييت غاليمار)، نصبا بمناسبة بلوغها سنتها الثمانين. من بينهم (ميلان كونديرا). أنطوان ليني/ لوموند

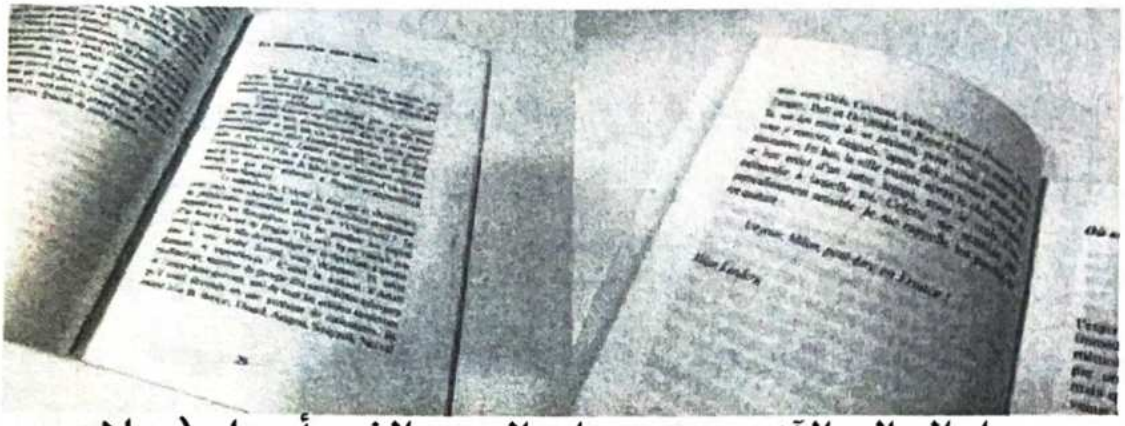

«زوار العالم الآخر» هو عنوان النص الذي أهداه (ميلان كونديرا). غير منشور. أنطوان ليني/لوموند

هذه الأوقات السرية المتقاسَمة في (براغ)، تحت الاحتلال الروسي، خلقت وفاءً متينا. بقي (أنطوان غاليمار)، ناشر الزوجين (كونديرا) وصديقهما. في ٢٠٠٥، بمناسبة بلوغ (كوليت دوهاميل) الـ٨٠ عاما، التي أصبحت في الأثناء السيدة (غاليمار)، قبِل (كونديرا) أن يضع ريشته مع خمسين صديقا آخر من أجل كتاب للتكريم، ألبوم جمع نصوصا عدّه خصيصا للعائلة، تحت غلاف أبيض زائف. استرجع الكاتب، في نصه الذي لم يُنشر كيف كانت (كولييت) تغادر (براغ)، وكيف كانت تهمس في أذنه بنفس الكلمات: «يوما ما في فرنسا، ربما يا (ميلان)...»

(3)

ميلان كونديرا
في طريقه نحو الغرب

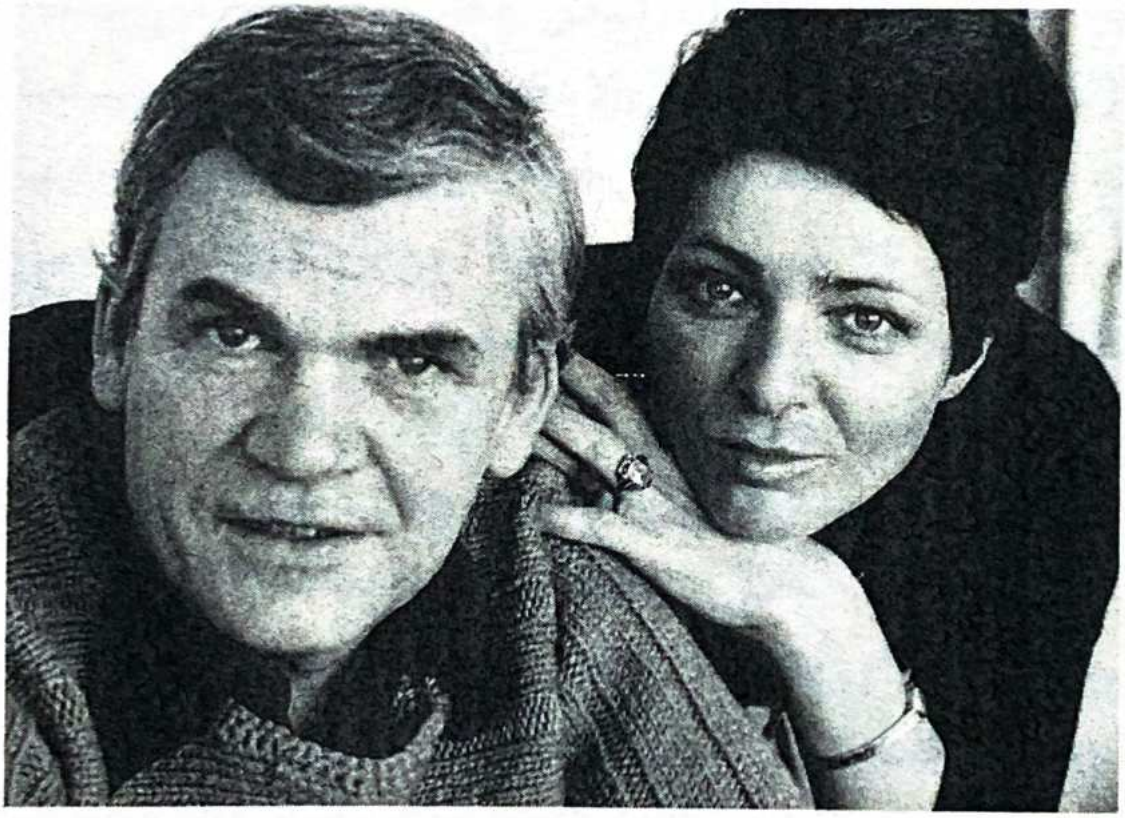

(كونديرا)، قصة حياة (٦/٣).

(٤)

في صيف ١٩٧٥، تمكن الكاتب وزوجته من مغادرة (تشيكوسلوفاكيا) الشيوعية والانتقال إلى باريس، التي لديهم فيها عدد كبير من الأصدقاء. ولكن جواسيس (براغ) واصلوا مراقبتهم.

الأحد ٢٠ جويلية ١٩٧٥، سيارة من نوع (رونو ٥) تحمل أرقام (٥١٨٢) تغادر (تشيكوسلوفاكيا)، تعبر نحو الحدود الألمانية، باتّجاه (ميونخ). في المقعد الخلفي كراتين مليئة بالكتب، وما يقارب الخمسين أسطوانة موسيقية، حقائب، وبعض الفساتين.

في الأمام، يجلس الزوجين (كونديرا). كانت (فيرا) في ٣٩ وميلان في ٤٦. يلوح الترخيص بالعودة إلى فرنسا خلال ٧٣٠ يوما، تمّ إصداره يوم ٢ جويلية أما الجوازات يوم١٢. بعد أسبوع طويل من هذه التواريخ، غادر الزوجين المنزل الكائن في شارع (بوركينوفا)، بـ(برنو) في (مورافيا)، واتجها نحو «الغرب» مثلما كان يقال في السابق قبل انهيار جدار برلين. ترك الكاتب أمه خلفه. (فيرا) تخلت أيضا عن والديها. إنها دراما اللاجئين المعتادة.

«الحياة كمهاجر دائم، تشعرني بالاكتئاب» أكّد (ميلان كونديرا) في ١٩٧٦

أصبح مستقبلهما مشتتًا فجأة ودون وجهة. إلى أين سيُفضي بهما؟ «كنت مقتنعا تماما، أنني لن أرى (براغ) مجددا إلى الأبد» هذا ما أسرّت به (فيرا كونديرا) اليوم للعالم. في ذلك الصيف من عام ١٩٧٥، لم يكن ذلك موقف زوجها. بل جاءت ردة الفعل حازمة و شديدة «لدي الحق في العودة إلى التشيك. هذا أمر في غاية الأهمية بالنسبة لي، أكد (ميلان كونديرا)، بعد أقلّ من عام من الرحلة الكبيرة وتنقلاتهما، في الصحيفة الألمانية أفكار أوروبية. «أن العيش في حياة كمهاجر دائم تصيبني بالاكتئاب.»

عبرت السيارة الرونو ٥ بافاريا وراحت تلتهم الكيلومترات بعجلاتها دون كلل. «ستارزبورغ، ريمز، أميان، ترويز.:. زرنا كل الكنائس»، راحت تتذكر فيرا (كونديرا) تفاصيل المغامرة. كان على الرحلة أن تنتهي في رين. لماذا رين بالتحديد؟ هذا يعود لعدد من الصدف، كما يحدث دوما في روايات زوجها. تعقّد كل شيء في باريس، بعد عام من هذه الأوديسة (يُقصد هنا طول السفر)، بسبب حفل أُقيم على شرف الكاتب، يكشف الأكاديمي (دومينيك فرناندیز)، الذي يبلغ من العمر ٩٠ عاما مثله.

جائزة ميديسي للأجانب

في ١٩٧٣، تُوج (ميلان كونديرا) بجائزة (ميديسي) للأجانب، عن رواية» الحياة في مكان آخر». في ربيع ١٩٧٤، بعد عام من المماطلة، وافقت السلطة الشيوعية (التشيكوسلوفاكية) على منحه تأشيرة لا تتعدى الخمسة عشرة يوما، ليتسلم جائزته من باريس. من المتوقع أن يكون الفائز في نهاية فترة ما بعد الظهر عند (غالا باربيزان) الشريكة لمؤسسة الجائزة. وهي روسية في السبعين، هاجرت من الاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٥ لتتزوج من رجل أعمال إيطالي ثري. «امرأة حرة ذات نفوذ، ستالينية في الآن ذاته، ومليونيرة، قال (دومينيك فرناندیز). قبل اختيار (كونديرا) لنيل الجائزة، سألتني: «هل تعتقد يا (دومينيك) أن بإمكاني إعطاء الجائزة لأحد أعداء حزبي؟»

> «لم يكن دور المنشق يلائمه. لم يكن يرغب في أي خلافات سياسية، ما يهمه على وجه الخصوص أكثر من أي شيء آخر هو أن يكون كاتبا فحسب.» يشرح (دومينيك فرناندز).

جمعت مديرة الجائزة جميع المحكمين في نُزلها الخاص في (آر دو شاليه)، فوق تلّ (مونمارتر). عندما ظهرت القامة الطويلة للفائز في صالون الورشة، اتّجهت نحوه جميع الأنظار.

«لم يكن يعرفه أحد، يواصل (دومينيك فرناندز). حدثنا عن أن الحياة مستحيلة في (براغ)، أن عليه مغادرة الشقة ليتحدث إلى زوجته، أن الميكروفونات مزروعة في كل مكان...» بصوته المكتوم، حاول (كونديرا) أن يمرر بعض الكلمات لأعضاء لجنة التحكيم: «أود إيجاد عمل هنا.» لم يكن يعني الهروب أثناء زيارته تلك، بل يريد اللجوء بشكل قانوني. «لم يكن دور المنشق يلائمه. لا يرغب بأي خلافات سياسية. ما يهمه على وجه الخصوص أكثر من أي شيء آخر هو أن يكون كاتبا فحسب»، يصرّ الأكاديمي. «لم يكن (كونديرا) يرغب في أن يتحول إلى دمية متحركة في يد المتحكمين السياسين بالعلاقات بين الشرق والغرب، أولوية الكاتب كانت نفسه فقط»، النجاة بالذات يضيف الكاتب فيليب سولر، الذي نشر سنة ١٩٨٠ في مجلته (اللا نهاية) مقالات نُشرت لاحقا في كتاب (الوصايا المغدورة) ١٩٩٣.

تبادرت فكرة إلى ذهن (فرناندز) أثناء حفلة (غالا باربيزان) الصغيرة. إذا كان هو نفسه يدرّس اللغة الايطالية في جامعة (رين)، فلماذا لا يطلب وظيفة لـ(كونديرا)؟ بين محكمي الجائزة كانت توجد (لوسي فور) زوجة أدغار فور، الوزير السابق للجنرال (دوغول) و(جورج بومبيدو)، والذي أصبح وقتها رئيس الجمعية الوطنية.

(لوسي فور) ـ «فوروفا»، «زوجة فور»، هكذا سجلها البوليس السري التشيكي في ملفاته ـ والتي كانت بدورها موثقة، رئيسة مجلة، والآن روائية، كانت مسحورة ومبهورة بالغيرة والتفاعل وكل العواطف الإنسانية المحبطة التي قدمها (كونديرا). فتنتها شخصيات كتاب غراميات مرحة لـ(كونديرا). تستطيع انطلاقا من كل هذا أن تساعده عبر التحدث مع زوجها عن وضعه وتقديم بعض الدعم.

وظيفة في جامعة (رين)

التقى الروائي في باريس بالزوجين (فُوريه)، على مائدة غداء منظمة على شرفه من طرف (كلود) و(سيمون غاليمار)، في غرفة الطعام الخاصة في الطابق الأخير من دار النشر، حيث يقيم (كونديرا) بشكل مؤقت. نُقلت المحادثة التي دارت يومها بتاريخ ٨ ماي ١٩٧٤، من طرف الروائي (كلود مورياك) في صحيفته الزمن الجامد (غرامسات ١٩٨٨). حول الطاولة المستديرة، كان النقاش يدور حول المبارزة الانتخابية بين (ميتيران) و(جيسكار). غداء باريسي بامتياز! حسب (موريك) فإن (كونديرا) «كان يستمع دون أن ينبس ببنت شفة». «ولكن أين أنا؟»، لا بدّ وأنه كان يتساءل.

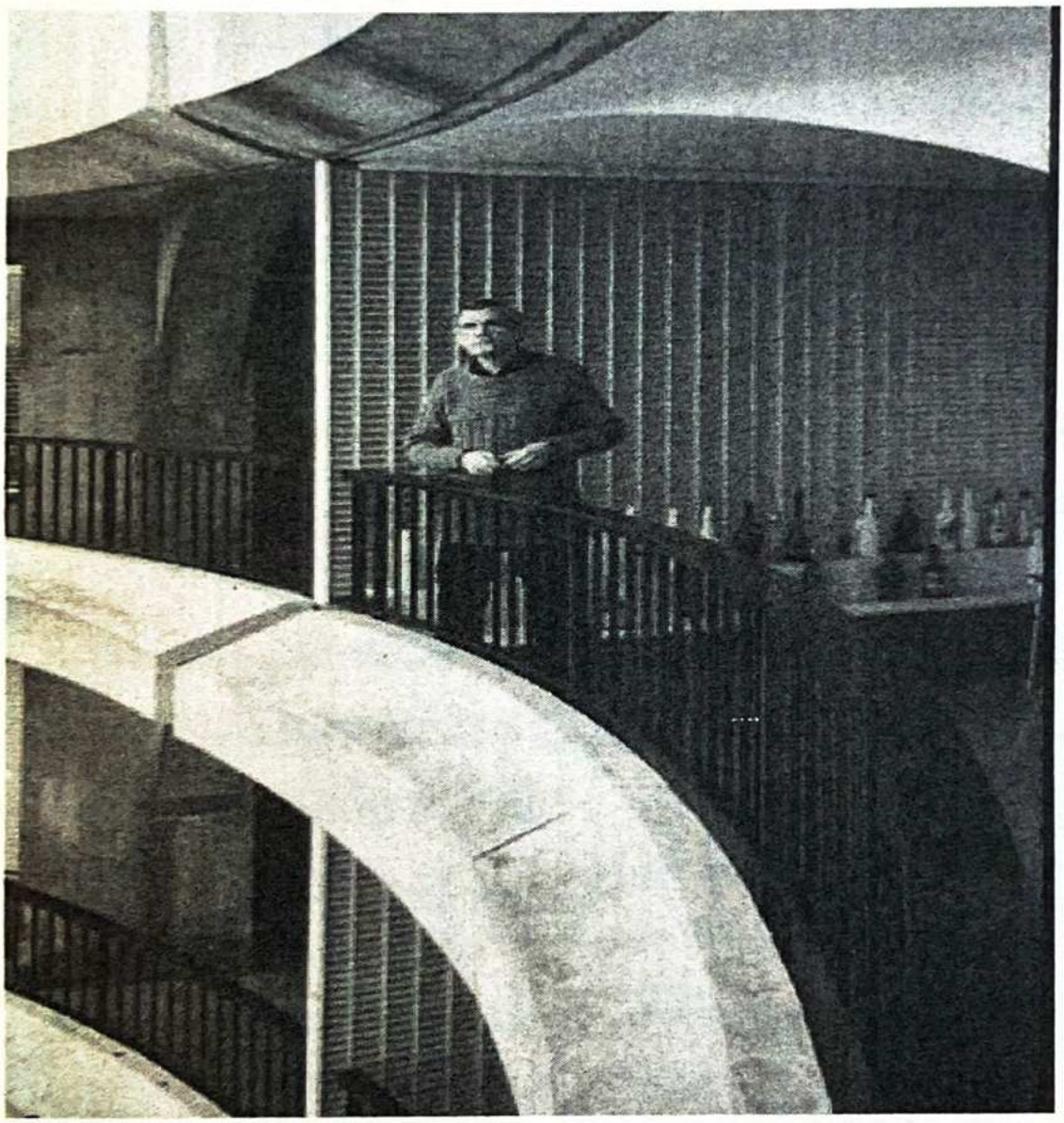

(ميلان كونديرا) في شقته في (رين) في جوان ١٩٧٨.
فرديناندو سيانا/ ماغنوم

لحسن الحظ، كان (دومينيك فرناندز) ساهرا على مصالح (كونديرا). «بعد إقامة (كونديرا)، اقترحت على مجلس جامعة (رين) أن يصبح أستاذا مشاركا[1]، يشير الأكاديمي، أمّا (إدغار فور) فقد اهتمّ بترخيص الإقامة. «دروس الروائي في الأدب العام والمقارن يمكن أن تبدأ مع بداية العام الدراسي ١٩٧٥.

هذا هو السبب الذي جعل الزوجين (كونديرا) يحطان الرحال في (رين)، التي استعارت أزقة (برنو).إذ تمّ توأمة المدينتين قبل عشرة سنوات. صدفة أخرى تواصل في إثارة بهجة (فيرا كونديرا) حتى ٢٠١٩.

> اعتقدت أن برنو كانت أبشع مدينة في العالم، قال (كونديرا) مازحا. اكتشفت أن هنالك (رين) أيضا.

في ذلك الوقت، لم يكن للعاصمة (بريتون) أي علاقة بالمدينة الطلابية اليوم. فهي مدينة خاملة بعض الشيء، مما جعل الكاتب لا يجد فيها أيّ نوع من السحر. «اعتقدت أنّ (برنو) كانت أبشع مدينة في العالم، قال (كونديرا) مازحا أمام زميله الجديد (فرناندز). ولكني اكتشفت أنّ هنالك (رين) أيضا.» في الليلة الأولى، كان الزوجين مكتئبين، فاتجها نحو الغرب قبالة المحيط، على طريق (سان مالو)، أمام جزيرة «لو غرون بي» حيث يرقد جثمان (شاتوبريون).

---

(١) الأستاذ المشارك: هي درجة أكاديمية تستخدم في جامعات أمريكا الشمالية والجامعات التي تجري على نهجها في تسمية الدرجات الأكاديمية. وهي أعلى -وفق هذا النظام- من درجة أستاذ مساعد وأقل من درجة أستاذ (بروفيسور).

عبادة التفاصيل

استأجرا في (رين) شقة في الطابق الأخير في (أوريزون) وهو واحد من البرجين الواقعان في غرب المدينة. يبلغ ارتفاع المبنى ١٠٠ متر مانحًا إطلالة منيعة فوق الحي، ولكن مهربا إلى الخيال بالأخصّ. «عندما أيقظتني الشمس، فهمت النوافذ الكبيرة تطلّ على الشرق، باتّجاه (براغ)» كتب (كونديرا) في كتاب (الضحك والنسيان) (١٩٧٩). على بُعد ٢٠٠٠ كيلومتر، بإمكانه البحث عن شخصياته من نظرة واحدة. «لحسن الحظ أني أمتلك دمعة في عيني، تشبه عدسة التليسكوب، تجعل وجوههم أشد قربا مني.»

تمّ نقل الجامعة سنة ١٩٦٧، من المركز التاريخي إلى المنطقة المحيطية الواقعة بفيلجان ـ ماليفو. «كنت أقطن باريس وأتنقل كلّ يوم اثنين لأعطي دروسا في الايطالية، يواصل (فرناندیز). ينتظرني (ميلان) في القطار ويأخذني إلى بيته، حيث تطبخ (فيرا) أطباقا تشيكية ببذور الخشخاش.» تم تزيين الجدران الدائرية لشقتهم بالرسومات والسيراميك من قِبل الكاتب. «جاء النجار الذي يعمل في الجامعة ليصنع مكتبة» يتذكر الأكاديمي.

في النصف الثاني من عام ١٩٧٠، تعرف الزوجين (كونديرا) بمرح على فرنسا من خلال المقاطعات. أصبحت (فيرا) جزءا من المحلات التجارية والمطاعم ولم يكن ينقصها سوى ارتداء مريلة مع التجار وعمال التنظيف وأصحاب الحانات. كل شيء بدا لها غريبا. تسأل عن «الفجل»، فيعطونها «الروكفور». في السوبر ماركت، تتذوق «العشرين نوعا من الخردل» بفتح كل برطمان. «ذات يوم، وضعت الملصق «أنا بريطونية[١] وأنا فخورة بذلك» على سيارتنا، بعد ساعات قليلة سُرقت.» لدى هذه المرأة عبادة للتفاصيل وطريقة في استيعاب الكوميديا اللاإرادية للأشياء من حولها وهي خاصية موجودة في روايات زوجها الساخرة بتعقيدات ومقاومة شخوصها.

(١) بريطون: البريطون هم مجموعة عرقية يقطنون منطقة بريطانيا الفرنسية.

«أكتب لإضحاك (فيرا)»

بينما يعطي هو دروسا، كانت هي تأخذ دروسا في الأدب في الجامعة. لم تمرّ ستة أشهر حتى انتشرت الاضطرابات الطلابية الطويلة في الحرم الجامعي. أي عرض هذا لرجل هرب من الاحتلال الشيوعي! «تخيلوا لاجئا تشيكيا يحضر كعالم حشرات، ليشارك الثوار الشباب صخبهم في غرفهم، يعيد تمثيل احتلال السوربون في مدرج (شاتوبريان) الذي أعيد تسميته «مدرج أولريك مينهوف» (~~الإرهابي~~ اليساري المتطرف من عصابة بادر)، يحكي ضاحكا لطالب سابق في كلية الآداب. لحسن حظنا، نحن حفنة الطلاب الذين كنا على موعد معه كل أسبوع، أن (كونديرا) كان هنا لفتح أعيننا...»

> «كنت أشكو من الكآبة البوهيمية (نسبة إلى بوهيميا). كتب ميلان كتاب الضحك والنسيان حتى لا أكون حزينة» تحكي (فيرا) (كونديرا)»

وظيفة الأستاذ الشريك كانت تضمن راتبا شهريا بقيمة ٧/٢١٢ فرنك (١٠٩٩ يورو)، حسب أرشيف الشرطة، «إضافة لـ ٦٨٥ فرنك كبدل وافد». «لحسن الحظ كنا محظوظين ببعض الأصدقاء

لإقراضنا الشيء القليل من حين لآخر» تقول بدقة (فيرا كونديرا). في الصيف الموالي، دعاهما بروفيسور للأدب لاكتشاف (بيل أون مير موربيهان)، المكان الذي يقضي فيه الباريسيون عطلتهم في الضفة الأخرى. بداية مظاهر الترفيه الحلوة التي تأتي مع الصيف، في منزل بالقرب من منارة دو بولان، أو طاحونة بورهيك في لوكماريا.

من كان يدري؟ هنا، أثناء الحر القائظ لصيف ١٩٧٦، كُتب كتاب الضحك والنسيان. «عكس رغبة (ميلان)، أخذت معي آلته الكاتبة، تحكي (فيرا كونديرا). أملاني نسخة كتابه الأول على امتداد ستة أسابيع. كنا نعمل بمايوهات السباحة في الحديقة ونحن نشرب الجعة. تنتابني أحيانا الكآبة البوهيمية. كتب (ميلان) هذا الكتاب حتى لا أشعر بالحزن. «حتى أنّه قال أثناء «التطبيع» في (براغ): «أكتب لتضحك (فيرا)».

لقاء في (بال إيل) الجزيرة الجميلة.

أثناء إجازته في جزيرة (موربيهان) التقى المؤرخ (بيير نورا) بصديقه الكاتب والصحفي من صحيفة الملاحظ الجديد (كلود روي)، الشخصية المؤثرة في ذلك الوقت ، على الشاطئ في ذلك الصيف. يُمضى إجازته مع (ميلان كونديرا)، حيث يحمل ويحيي كل عمل. ويقيم عروضا على الرمال. كان (نورا) على وشك تأسيس مجلة (غاليمار) الفكرية «النقاش». خُتم لقاء (بيل إيل) بعلاقة صداقة. بعد سنوات يطالب نورا من (كونديرا): «أكتب قاموسك الشخصي ملخص دهشتك. كلماتك المفاتيح، كلماتك التي تشير إلى المشاكل، كلماتك التي ترادف الحب وجغرافيتك الخاصة...» نفذ الكاتب الأمر وكتب من أجل «النقاش» قاموسا مكونا من ٦٩ كلمة، نجده في كتابه «فن الرواية» (١٩٨٦).

في بيل إيل أون مير، نوفمبر ١٩٧٦. ميلان كونديرا (الثاني على اليمين)، برفقة المخرج ميلوس فورمان (الثاني على اليسار).

بداية السنة الدراسية تعني بالنسبة له العودة إلى «الحياة غير الواضحة (...) لأستاذ محافظة». هذا ما يعتقده. يتجاهل أفعاله وحركاته، كانوا تحت التجسس حتى في بريتان، هذا ما يكشفه اليوم أرشيف أمن الدولة (التشيكوسلوفاكية). تريد الشرطة معرفة ما إذا كان اللاجئ يحمل ملاحظات انتقاديه بشأن «التطبيع» الساري منذ عام ١٩٦٨، «والذي من شأنه أن يوفر للسلطات في النهاية سببًا وجيهًا لحرمانه من جنسيته» ، كما يتذكر المؤرخ (بيتر زيديك) في (براغ). لهذا يجب مراقبته عن كثب.

تعاون جهاز الأمن مع اثنتين من القراء الناطقتين باللغة التشيكية. لم يسفر ذلك عن نتيجة كبيرة.

تخبرنا هذه الوثائق أن الشرطة تعاونت مع قارئتين ناطقتين باللغة التشيكية ولكن ذلك لم يسفر عن نتيجة كبيرة، فـ(كونديرا) يحرص بعناية على الحفاظ على مسافة مع مواطنيه. حسب (بيتر زيديك)، تورط الرجال ذوي الأزياء الرمادية، في «لعبة قذرة». في (براغ) تمّ استدعاء جميع من بقي على صلة متواصلة بالزوجين. «من أجل إرهابهم، قالت لهم الشرطة أنّ (كونديرا) كان يتجسس مع عملاء إمبرياليين. إنها أيضًا طريقة لتخويف وبث الذعر في (كونديرا) نفسه إذا عاد أو فكر بالعودة، فقد يكون قد يحاكم على هذا النشاط الزائف.»

تعقب أمن الدولة الانتقال المعلن عام ١٩٧٨ إلى «الشقة ٣٠٣ـ ب» في برج (أوريزون). خمنت (فيرا كونديرا) أنهم لم يعودوا قادرين على العودة إلى (براغ). فجأة، أصبح الزوجان يفضلان العيش في باريس. بيير نورا، الصديق الذي قابلاه على الشاطئ، فهم ذلك. يقول المؤرخ: «منذ عام ١٩٧٦، قدمتُ (كونديرا) إلى (فرانسوا فوريه) لمساعدته». رئيس مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية، هذا العضو القديم في الحزب الشيوعي، أصبح مناهضا شرسا للشيوعية، يهتم بالمنشقين. لماذا لا يتم جمع هؤلاء في ندوة حول (كونديرا)؟

(4)

ميلان كونديرا، أستاذ متميز

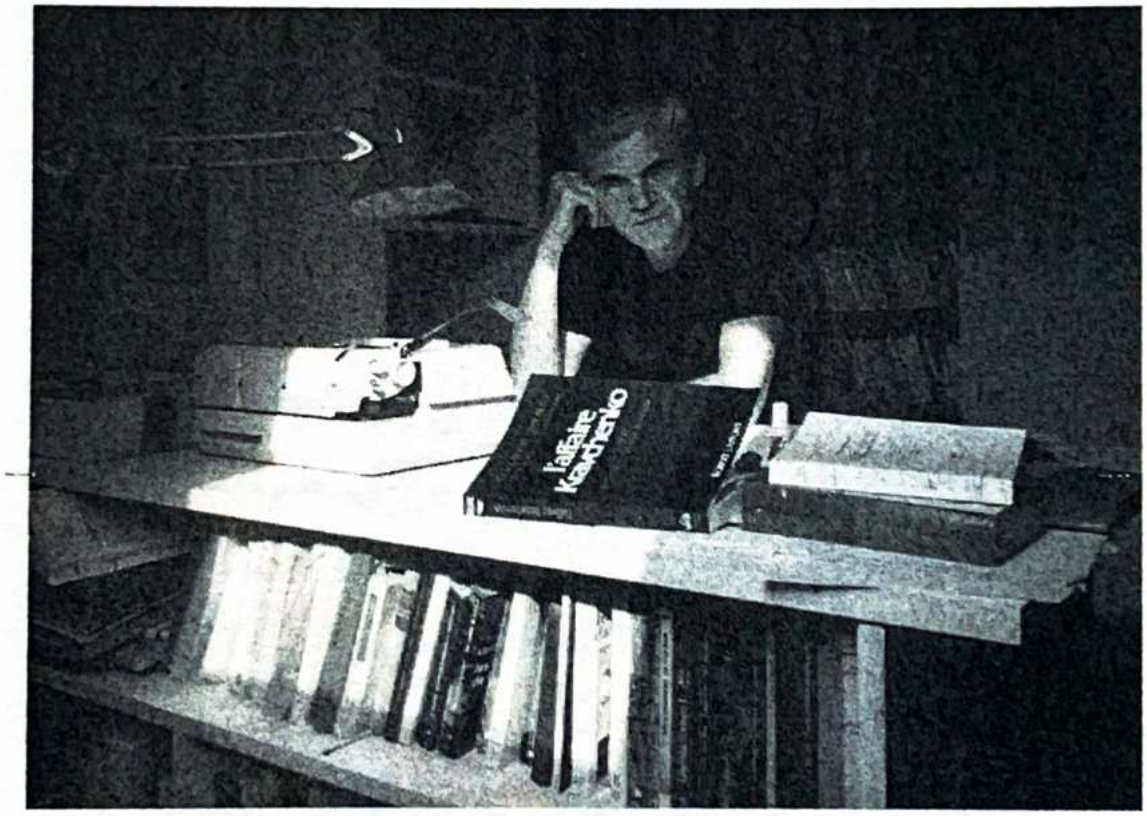

(كونديرا)، قصة حياة (٦/٤).

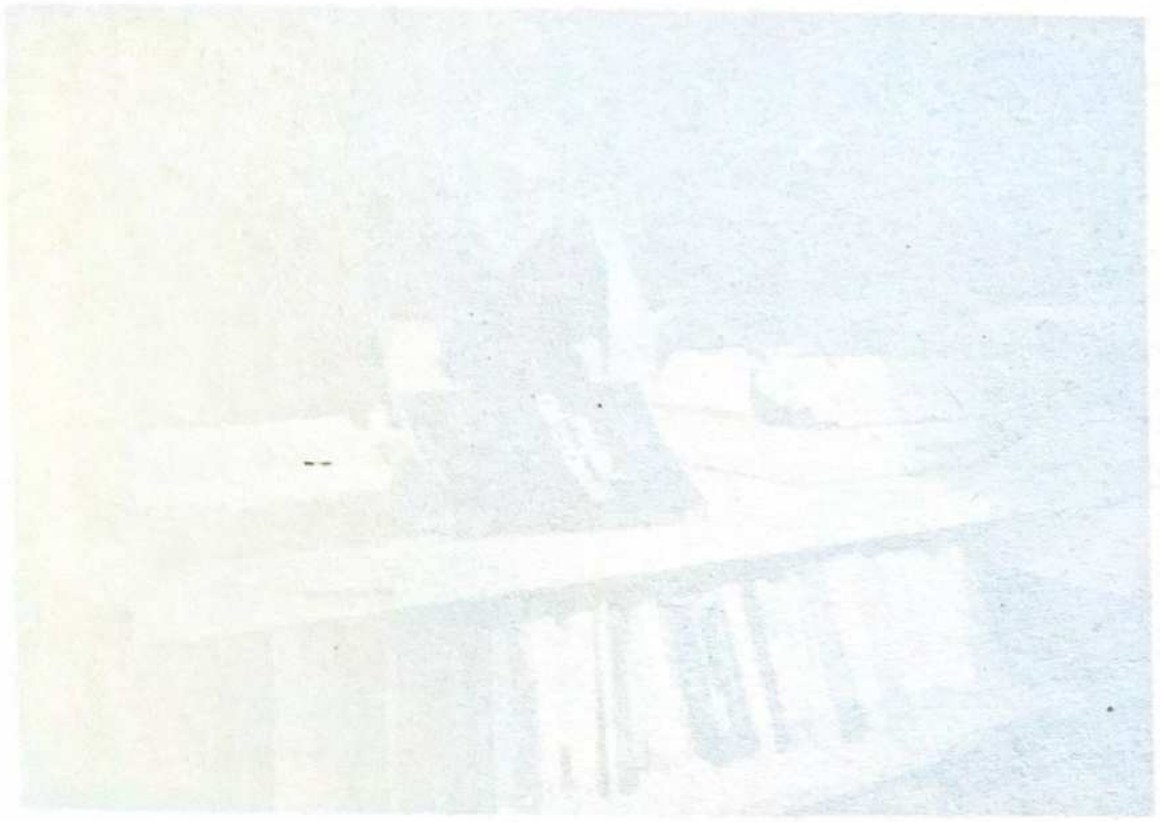

عام ١٩٨٠ أصبح الكاتب ذو الأصول (التشيكسلوفاكية)، يحتل مكانة بارزة في الحياة الأدبية الفرنسية. ترأس في باريس ندوة في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية.

خلع (ميلان كونديرا) معطفه الواقي من المطر، ووضع قبعة البحارة خاصته على الطاولة. هل كان يرتدي سترة سوداء بياقة مدورة؟ قميصا أزرق غامق؟ الذاكرة تخونه، والذكريات تتباعد. نحن في عام ١٩٨٠، شارع (لا تور)، في حي (باسي)، في باريس، في يوم الحلقة الدراسية الأولى للكاتب (التشيكوسلوفاكي) المقيم في العاصمة. لأكثر من عقد، سوف يعرّف أربعين شخصا متميزا على معبده الأدبي المخصص لجميع الآلهة، في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية.

يتذكر مستمعيه أنه في يوم الاثنين الأول، رسمت يده خريطة أوروبا على السبورة وحددت (بودابست) و(فيينا) و(براغ)، مثلثه السحري، لتعريف الغربيين بهذه الأرض الأدبية المجهولة.

قال لهم في المقدمة: «لم تفهموا في فرنسا أن (كافكا) ليس مؤلفًا مأساويًا ، إنه كاتب كوميدي. عليك أن تضحك مع كافكا. لذا تخلصوا من كل «الكافكولوجيين» أولًا ـ هؤلاء المتخصصين الذين يقولون إنهم غطوا عالم الكاتب بسعة اطلاعهم. تذكروا الصفحات الأولى من المحاكمة: ظهر رجلان في الصباح على سرير «ك»، لإبلاغه بأنه متهم. المشهد سخيف ومضحك. عندما قرأ كافكا هذا الفصل لأول مرة لأصدقائه، ضحكوا جميعًا.»

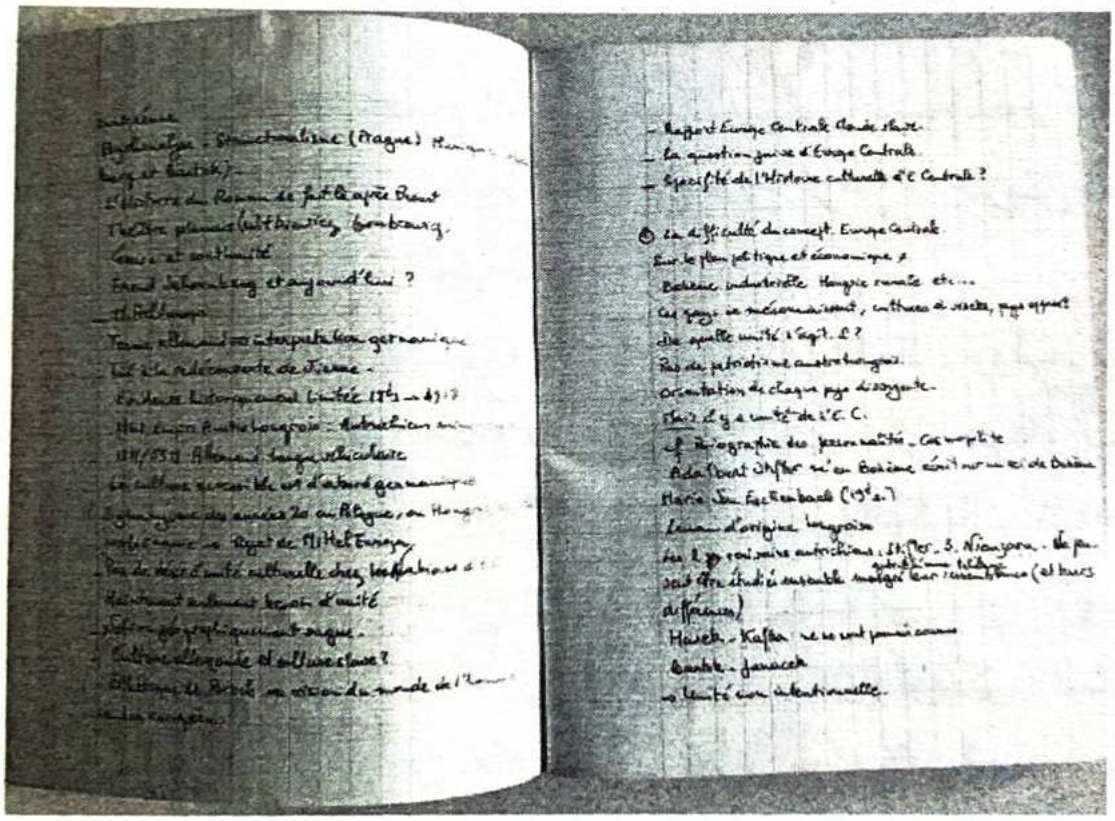

دفتر دروس لمشارك في الحلقات الدراسية لـ(ميلان كونديرا)
نوربير سيزارني، ناقد أدبي اليوم/ لوموند.

في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية، لم تكن هذه الندوات تقليدية، تُلقى من فوق منبر أو في قاعات المحاضرات. كل يوم إثنين، حول طاولة على شكل هلالي، يأتي جمهور باروكي، يختلف تمامًا عن جمهور الطلبة المعتاد في الندوات الجامعية، للاستماع إلى هذا الكاتب صاحب النظرة الحزينة وهو يتحدث عن أدب أوروبا الوسطى.

ثمّة هنا أشخاص من كل الأنواع، ثلاث نساء أنيقات من المجتمع الروماني (من رومانيا) الأرستقراطي، يقطنّ في الدائرة السادسة عشر، اللؤلؤ والأظافر الحمراء منتشرة، يستمتعن بكلمات الكاتب، الحاخام (جيل بيرنهايم)، المصور الأعمى اللامع (السلوفيني إيفجين بافكار)، مؤلفون، أمريكيون، مترجمان، شابة إيطالية مفلسة... «كل الكتاب العظماء الذين عرفتهم ماتوا. ولكن أخيرًا التقيت بأحدهم وهو على قيد الحياة «، تقول ضاحكة الروائية (سيمونيتا جريجيو).

تحفّظ قريب من الخجل

كما هو الحال في كل أسبوع، يخرج كاتب «المزحة» (١٩٦٧) ملفا بأشرطة مطاطية من حقيبته، يستخرج منه ملاحظات، وأحيانا رسوما تخطيطية بيانية.

عندما كان يُدرّس في مدرسة (براغ) للسينما، تحدث دون أن يكتب أي شيء. ولكن منذ أن بدأ في إعطاء الدروس في فرنسا - في كلية (رين) عام ١٩٧٥ - كان يُمضى الليالي مستغرقًا في إعدادها. «حين وصلنا كان شعره أسود، بعد ستة أشهر اكتسى اللون رماديًا.» تحكي زوجته (فيرا). كل يوم اثنين، في الشقة التي كان يستأجرانها في شارع (ليتري)، قرب (مونبارناس)، كانت تحضر له تذكرة مترو، إضافة إلى المال ليتناول المشروب الذي يلي الدرس، في المقهى.

لا يوجد سجل لهذه المواعيد الأسبوعية. ولكن لحسن الحظ، هناك لاكيس بروغويديس. ذلك المهندس الشيوعي اليوناني، الذي هاجر إلى باريس، هو الذاكرة الحية لهذه الدروس. تعلم الفرنسية من خلال قراءة كتاب «الضحك والنسيان (١٩٧٩)، وكان من الأوائل الذين سجلوا في محاضرات (كونديرا) في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية، ولم يتخلف عن حضور حصة واحدة حتى

انتهائها، في ١٩٩٤، حتى عندما عمِل في مطعم يوناني. يستحضر تلك السنوات الجميلة وهو يدحرج حرف الراء، مثل أحجار صغيرة. «بدأ (كونديرا) بعامين من تدريس (كافكا)، ثم عامين آخرين لـ(هيرمان بروش)، ثم عام لـ(دوستيوفسكي)، ثم...»

> استنتجت معه، أن هناك أشياء في حياة المرء لا يمكن فهمها سوى من خلال الكتب» يقول جيل (بيرنهايم).

لا يمتلك الكاتب (التشيكوسلوفاكي) كاريزما صديقه (كورنيليوس كاستورياديس)، الذي يتولى نفس مهامه أيام الأربعاء في نفس القاعة. صوت رتيب بعض الشيء، «تحفّظ قريب ينمّ عن الخجل، أو العكس» وفقًا لـ(سيمونيتا جريجيو). وتتابع قائلة: «لقد بدا دائمًا في موقف دفاعي، كما لو أنه لا يرى الطلبة وكان حذرًا من الكثير من الألفة أو الوفرة ـ وهي سمة مَن سمات ثقافة أوروبا الوسطى.»

ليس لدى (كونديرا) موهبة التدريس: علاوة على ذلك ، فهو لا ينوي الإشراف على العمل أو الأطروحة. هل وجد متعة فيها؟ ليس بالتأكيد. لكنه رائع، لأنه لا يتحدث عن الأدب فقط، بل عن «أدبه هو». «أدركت معه أن هناك أشياء في حياة المرء لا يمكن فهمها إلا من خلال الكتب»، كما يقول جيل (بيرنهايم).

«ورشة رواية»

يقرأ (كونديرا) مقتطفات من كتاب «رجل بلا صفات» للنمساوي (روبرت موسيل)، ويقدم «الجندي الشجاع تشفيك»، بقلم الكاتب البراغي (ياروسلاف هاسيك)، و«المشاة أثناء النوم»، لكاتبه (العزيز بروش).

هذه الندوات كانت أيضا بالنسبة له مختبر سرديات هائل ومختبر كثف فيه (كونديرا) مجمل أعماله، حيث يطور أفكاره حول الرواية وفن التأليف، والتي تناولها جميعا في كتبه النقدية اللاحقة: فن الرواية (١٩٨٦)، ثم الوصايا المغدورة (١٩٩٣)، الستار (٢٠٠٥)... كان شيئا يشبه «ورشة للرواية»، اسم المجلة (وشراكة الزمالة الصغيرة) التي أنشأها (بروغويديس) عام ١٩٩٣، وأين انتقل كثير من القناصة المنتمين للمدارس، على غرار الشاب (هوالباك).

بجانبه على الطاولة الهلالية، يقف طالب دكتوراه، بشعر بني، يبلغ من العمر ٣٠ عاما. كان (كريستيان سالمون) آنذاك ماركسيًا شابًا، مؤلف أطروحة عن الثورة البلشفية. التقى (كونديرا) بالصدفة تقريبا، أثناء إجراء مقابلة معه في صحيفة (ليبراسيون). تولّد نوع من الانسجام، وأصبح (سالمون) أول مساعد له في هذه

الندوات غير الاعتيادية، قبل أن يفسح المجال أمام (بروغويديس). يتذكر هو أيضًا: «في أوائل الثمانينيات، كان (كونديرا) من آخر صيحات الموضة.» تنضم الأكاديمية المستقبلية (دانييل سالناف) والفيلسوف (آلان فينكيلكراوت) إلى العصابة. ومع نجاح «كائن لا تحتمل خفته»، عام ١٩٨٤، وصل أيضا الهواة والمضجرون. يجب البدء في رفض بعض الأشخاص وتقليصهم.

> يقول (كونديرا): «فرض نفسك على الآخرين هو أبشع نوع من إرادة السلطة.»

في ذلك الوقت، في السنة الثانية من الفصول التحضيرية للمدرسة العليا (آداب)، كان هنالك حظر على الرواية القديمة. كان يتم تدريس (ساروت وروب غريلي)، في فك رموز النصوص من خلال النقد البنيوي، الذي لا يكون ممتعا على الدوام.

يجسد (كونديرا) نوعا آخر من الطلائعية. كتب السيرة الذاتية ـ لم يكن يقال «رواية ذاتية» بعد ـ التي تعتمد على حميمية الحياة، كانت قليلة جدا بالنسبة له: «إن فرض نفسك على الآخرين هو الشكل الأكثر بشاعة من إرادة السلطة.» يفضل سبر أغوار مناطق جديدة: في رواياته ، يمزج بين التأمل ورواية القصص.

«سارتر معادي للإيديولوجية»

لم يكن العناء إبان تلك الأوقات أدبيًا فقط، يقول (سالمون): «في ندوة (كونديرا) ثمة هناك أيتام الأيديولوجيات والمفكرين». إذ إن الأزمة الماركسية في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي شكلت نهاية السرديات العظيمة للتحرر السياسي وفتحت قوسًا تاريخيًا»، كما يحكم مؤلف رواية القصص. آلة صنع القصص، وبرمجة العقول، الأكثر مبيعا عام ٢٠٠٧ (الاكتشاف). بين سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ وهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ملأ (كونديرا) الفراغ. (جان بيير سالغاس)، خبير الكاتب البولندي ويتولد (جومبروفيتش)، صرح بذلك بعد خروجه من إحدى الحصص: «(كونديرا) يمكن أن يكون (سارتر) الجديد. (سارتر) المعادي للأيديولوجية..» هكذا أسموه.

(كونديرا) «موضة جديدة»، و(جاك لانج) محق في ذلك. يشهد بذلك وزير الثقافة السابق، ويواصل: «منذ انتخاب (فرانسوا ميتران) في مايو ١٩٨١، سعينا إلى مضاعفة الإيماءات الرمزية والسياسية.» بالتالي، ظلّ (كونديرا) عديم الجنسية منذ عامين. في عام ١٩٧٩، وجد أخيرا الشيوعيون الذين كانوا في السلطة في (براغ) آنذاك الذرائع والاعذار لسحب جنسيته منه: مقتطف

طويل من كتاب «الضحك والنسيان»، نشر في صحيفة الملاحظ الجديد، ثم مقابلة له في (لوموند)، حيث يستنكر «مجزرة الثقافة التشيكية»، بعد انهيار ربيع (براغ). يقول (جاك لانغ) «يقال أن جيسكار وقف حائلا دون تجنيسه. في جويلة ١٩٨١، قررت جعله فرنسيا.»

الكتّاب (جان بيير فاي) و(ميلان كونديرا)، عندما استقبلهما الرئيس (فرونسوا ميتيران) في (الإيليزي)، في جويلية ١٩٨١. اتيان مونت/ غاما- رافو/ جيتي.

في الواقع، بدأت العملية قبل فترة طويلة، أثناء مأدبة بين المؤرخ (فرونسوا فوريه)، رئيس المدرسة العليا للدراسات الاجتماعية، ورئيس الوزراء (ريموند بار). «ذات يوم في ربيع عام ١٩٧٩، قال المؤرخ (جاك ريفيل) لصحيفة (لوموند)، «تلقى (فرانسوا فوريه) مكالمة من الاقتصادي (جان كلود كازانوفا)»، الذي يشرف، في مكتب رئيس الوزراء، على التعليم والجامعات. كان وقتها أقرب متعاون مع (فوريه) في المدرسة العليا لدراسة العلوم الاجتماعية. «دعانا (كازانوفا) لتناول الغداء في (ماتينيون) مع (ريموند بار).»

«وليّ نعمته» (فرونسوا فوريه):

منذ عام ١٩٧٨، حاول (كونديرا) مغادرة (رين)، حيث عاش مع زوجته لمدة ثلاث سنوات. يكشف الكندي (فرانسوا ريكارد)، الأستاذ السابق في جامعة (ماكجيل في مونتريال): «حاولنا مع أصدقائنا أن نجد له وظيفة في جامعة في (كيبيك)». لكن علاقاته في باريس ذات أذرع أطول، حيث ستُفتح أمامه أبواب مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية. يتذكر (ريفيل): «لطالما رحبت المدرسة بمن لا يمكن تصنيفه.» تنتهي مأدبة الغداء بين (فرانسوا فوريه) و(ريموند بري) بوعد من رئيس الحكومة بفتح تفويض مالي لمنح «كرسي خاص بـ(كونديرا)».

على انفراد، في هذا الوقت، أطلق (ميلان كونديرا) على (فوريه) لقب «ولي نعمته»، لكن هذا لا يعني أنّه أطاعه. فكونه شيوعيًا سابقًا أيضًا، كان مؤرخ الثورة الفرنسية يعتزم مواجهة تأثير «الحمر» على الأراضي الفرنسية، وتخيل خلق جسر بين المثقفين من الشرق والغرب. وهو ما لم يكن تماما من ضمن خطط (كونديرا).

تعلم الكاتب المكر في (تشيكوسلوفاكيا) عندما كان تحت مراقبة سياسية وبوليسية عالية. في فرنسا، يواصل اللعب والقفز. قال كل شيء في هذا الحوار مع نفسه، والمأخوذ من الوصايا المغدورة.

«هل أنت شيوعي يا سيد (كونديرا)؟» ـ لا، أنا روائي. « هل أنت منشق؟ ـ لا ، أنا روائي». «هل أنت مع اليسار أم مع اليمين؟» ـ لا هذا ولا ذاك. أنا روائي.» في (براغ) ، رفض المعارضة. في باريس، هو شخص غير منتمي ولا منحاز.

> يتذكر كريستيان سالمون: «في جلسة واحدة، لخص قصة ضحك (رابليه) في غوغول مرورا بالسخرية الرومانسية، ليصل إلى عبثية (بيكيتيان).»

لا شيء يهمه سوى «إرث» الرواية منذ (سيرفانتس). يتذكر (كريستيان سالمون): «روى ذلك مثل هؤلاء الشامان الذين أعادوا بناء خطوط الحياة على مدى أربعة قرون. في إحدى الجلسات، لخص قصة ضحك (رابليه) في غوغول، مرورًا بالسخرية الرومانسية إلى العبثية البيكيتيانة. كان تاريخ الرواية أشبه بغرفة صدى. إن ردّ فعل (ستيرن) على (رابيليه) هو الذي ألهم (ديدرو)، وتقليد (فلوبير) هو ما استمر في (جويس)، و(كافكا) هو الذي جعل (غارسيا ماركيز) يفهم إمكانية الكتابة بشكل مختلف... «

الكتابة وتعدد الأصوات

«في أحد الأيام، يحكي (بروغويدس)، جاء (كونديرا) إلى المحاضرة مع مسجل شرائط وشرائط (سترافينسكي) و(جانسيك).» (نوربيرت كزارني)، أستاذ اللغة الفرنسية في ذلك الوقت، والذي أصبح ناقدا أدبيا في الصحيفة الإلكترونية «في انتظار نادو»، يتذكر أيضا: «جعلنا نستمع لمقطوعة «زقزقة العصافير» لمؤلفها كليمنت جانكين.» بالنسبة لـ(كونديرا)، الكتابة هي الجمع بين عديد الأصوات، تماما مثلما في الموسيقى، هذا الفن الذي كاد أن يكون مهنته في سن العشرين: «هنالك شيء عالق بي فعلا، وأنا أبني رواياتي» يشرح في ١٩٨٤ لـ(برنار بيفو)، في البرنامج التلفزيوني فواصل.

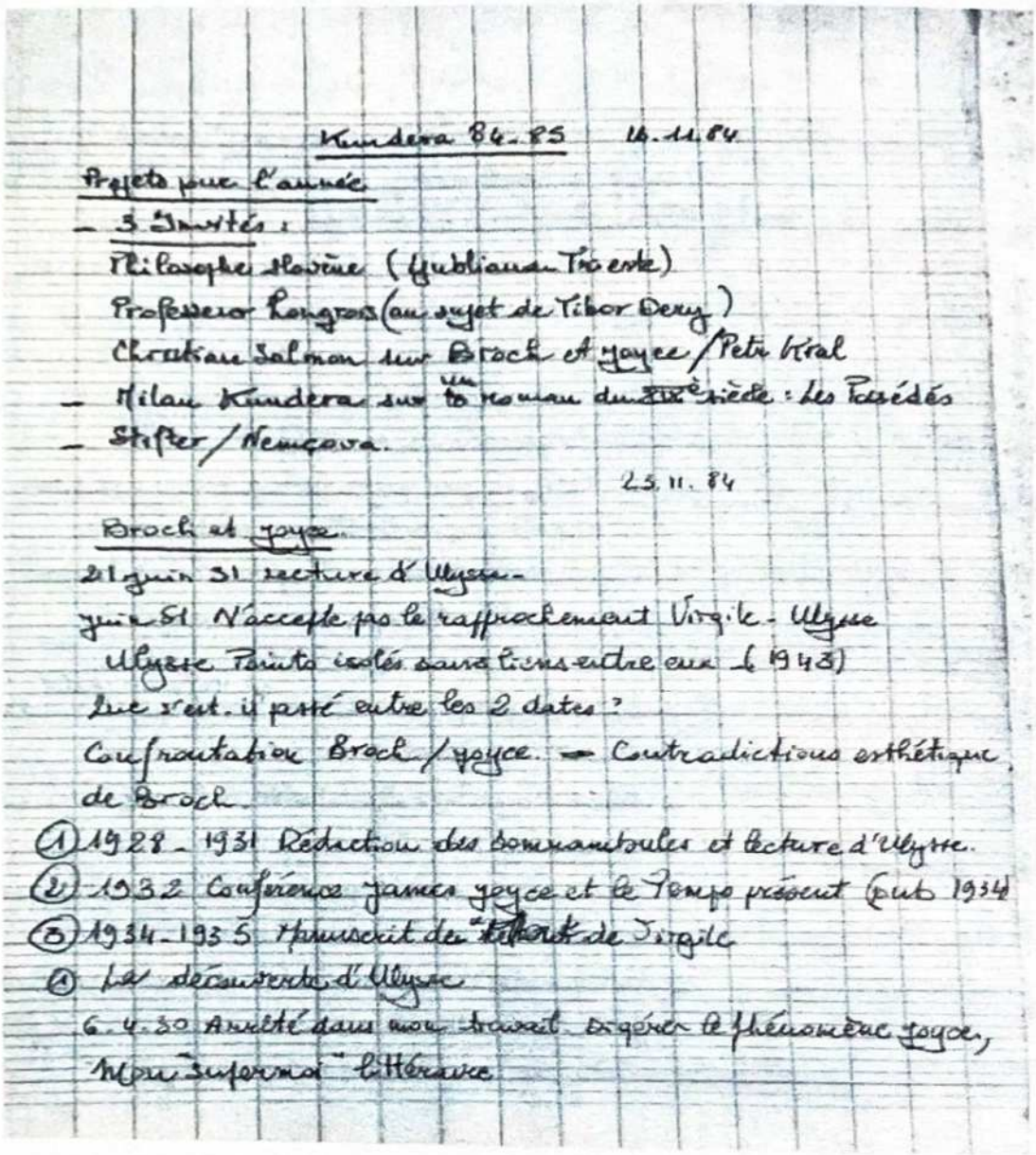

Kundera 84-85 16.11.84

Projets pour l'année

- 3 Invités :

Philosophe slovène (Ljubliana-Trieste)

Professeur hongrois (au sujet de Tibor Dery)

Christian Salmon sur Broch et Joyce / Petr Kral

- Milan Kundera sur un roman du XIXe siècle : Les Possédés
- Stifter / Nemçova.

25.11.84

Broch et Joyce.

21 juin 31 lecture d'Ulysse.

juin 31 N'accepte pas le rapprochement Virgile - Ulysse

Ulysse Points isolés sans liens entre eux (1943)

Que s'est-il passé entre les 2 dates ?

Confrontation Broch / Joyce. → Contradictions esthétiques de Broch.

(1) 1928 - 1931 Rédaction des Somnambules et lecture d'Ulysse.

(2) 1932 Conférence James Joyce et le Temps présent (pub 1934)

(3) 1934 - 1935 Manuscrit de "La Mort" de Virgile

(4) La découverte d'Ulysse

6.4.30 Arrêté dans mon travail pour digérer le phénomène Joyce, "Mon 'Superman' littéraire"

برنامج الندوات من١٩٨٤ إلى ١٩٨٥ لـ(ميلان كونديرا)، على دفتر دروس نوربرت سيزارني، الناقد الأدبي اليوم. لوموند

زرعت هذه الندوات أساطير صغيرة، مثل هذا اللغز الذي طرحه (كونديرا) يومًا ما: في الأربعين من عمره، يطلب (كافكا) الذي يعاني من مرض السل، من ضمن أمنياته الأخيرة أن تحرق كتاباته غير المنشورة من بعده. وقد عهد بهذه المهمة إلى صديقه المقرب، (ماكس برود)، الذي لن يستمع إليه وسينقذ المحاكمة والقلعة من أيدي النازيين.

«تخيلوا أنكم ماكس برود»، صرخ (كونديرا) للجمهور. «ماذا تفعلون ؟ هل علينا أن نطيع ونحترم طلب الكاتب أم نخون ونفكر في الأجيال القادمة؟ في نهاية الحصة، ينتهي به الأمر بالكشف عن موقفه. «كنت سأحتفظ بروايات (كافكا)، ولا أنشر مذكراته». في صمت، استخلص درسا أخلاقيًا آخر من القصة: اصنع عملك وأقفل عليه بنفسك، قبل الدخول إلى ظلمة المجهول.

(5)

ميلان كونديرا،
اللغة الفرنسية تشبه السلاح

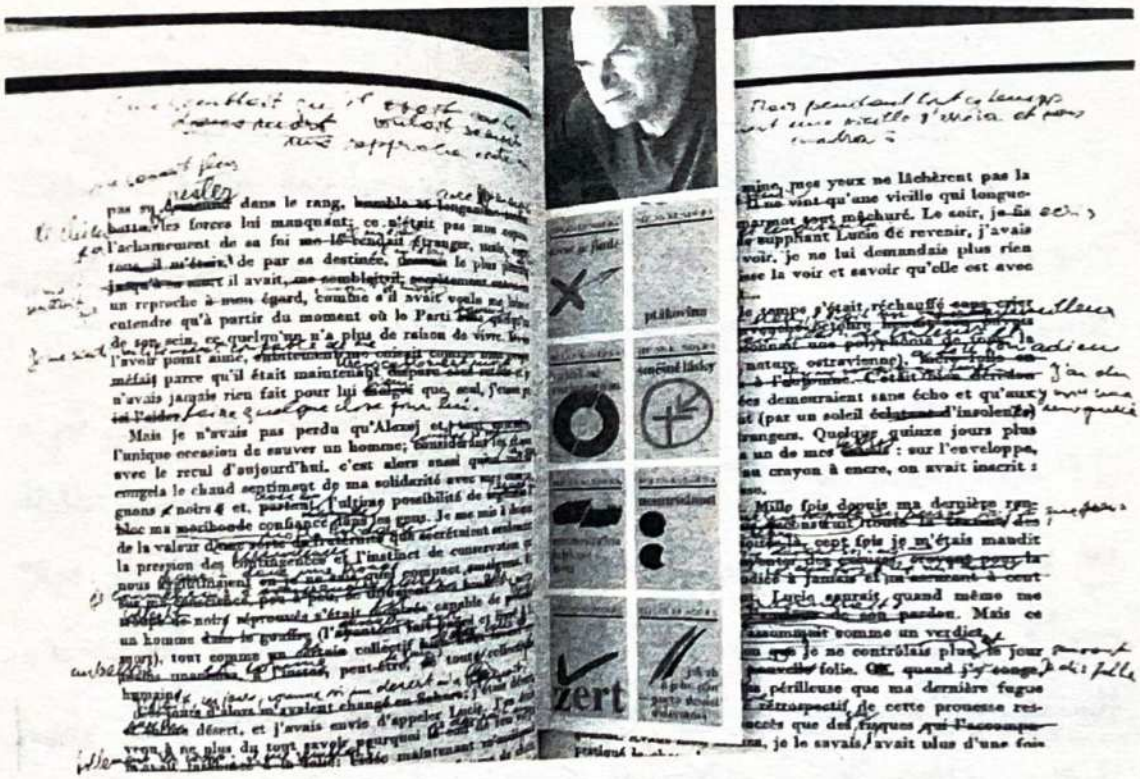

(كونديرا)، سيرة حياة (٥/٦).

في منتصف الثمانينات، قرر الروائي مراجعة جميع ترجمات كتبه، ثم عام ١٩٩٥، بدأ الكتابة باللغة الفرنسية. هل هو هوس الاستحواذ، أم إستراتيجية للعولمة الأدبية؟

إنها حرب أخرى تبدأ، سرية أكثر وحميمية أكثر. كل شيء بدأ خلال لقاء مع (آلان فينكيلكروت). أجرى الفيلسوف مقابلة مع (ميلان كونديرا) في الصحيفة الايطالية اليومية «كوريار ديلا سيرا» و«إكسبريس». يتساءل لماذا أصبح أسلوب «المزحة» المنمق والباروكي، عاريا وشفافا في كتبك اللاحقة؟ لم يفهم الكاتب (التشيكوسلوفاكي) المقيم في فرنسا تمامًا سؤال «فينكي». ينغمس مرة أخرى في هذه الرواية المنشورة في باريس عام ١٩٦٨، والتي مثلت بداية مجده.

روى (كونديرا) الباقي في ملاحظة تمت إضافتها إلى «النسخة النهائية» من المزحة. يشرح الروائي: «لقد اندهشت». ما حدث لم يكن «ترجمة» للرواية بل «إعادة كتابة». وليعزز موقفه بالأدلة، قام بإعداد قائمة بأبشع «استعارات التنميق» التي تم إلحاقها به. «كانت السماء زرقاء»، باللغة التشيكية، تصبح بالفرنسية «تحت سماء متلألئة، رفع أكتوبر علمها الفخم». تمت ترجمة «بدأت تضرب الهواء بشراسة من حولها» على النحو التالي: «احتدمت قبضتها مثل طاحونة هوائية مسعورة»...

مرتكب هذا العمل الشائن هو (مارسيل أيمونين). لقد نسيناه - ولسبب وجيه. الحرب الباردة تسللت أيضا إلى عالم الترجمة. تدور حوله رائحة فضيحة. عضو في الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٤٨، كان (أيمونين) ملحقًا ثقافيًا سابقًا في «السلك الدبلوماسي الفرنسي» في (تشيكوسلوفاكيا). في ٢٧ أبريل ١٩٥١، قبل خمسة عشر عامًا من تعاونه مع (كونديرا)، عقد مؤتمرًا صحفيًا في (براغ) للتنديد بـ «فرنسا، خادم الإمبريالية الأمريكية». حتى أنه ذهب إلى حد المطالبة بحق اللجوء من السلطة الشيوعية. من كان هذا المترجم الأول لـ(كونديرا) حقًا؟ ناشط أعمى أم ناشط قاس؟ عميل من (براغ)؟ «لطالما سألت نفسي هذا السؤال»، يتنهد (فرانسوا كيريل)، البالغ من العمر ٩٤ عاما، مترجم (كونديرا) المخلص. «إذا كان جاسوسًا، فهو جاسوس منخفض المستوى جدًا.»

الخروج من (أراغون) ومقدمته

محت الأجيال اللاحقة (أيمونين) وشخصيات أخرى أكثر شهرة أيضا تم محوها من تاريخه. (أراغون) ومقدمته التي في رواية المزحة على سبيل المثال، اختفى من (لابلياد)[1]. وغيره من الصورة أيام الدعاية. «بالنسبة لـ(كونديرا)، فقد سيست مقدمة (أراغون) الرواية كثيرا.» يلخص الأمر (فرونسوا ريكار)، أستاذ الأدب السابق في جامعة (ماكجيل) في (مونتريال) والمبشر المعتمد لحركة الكاتب منذ عام ١٩٧٨. «كان يسعى لشطب ماضيه الشيوعي، كما تفعل على أية حال، شخصيات كثيرة في رواياته». يؤكد (مارتن ريزيك)، مؤلف «كيف تصبح (كونديرا)؟» (الهارماتان،٢٠٠١)

(١) الابلياد: واحدة من المجموعات الرئيسية في النشر الفرنسي، نشرتها إصدارات غاليمار، وتشكل معيارا ومرجعا من حيث المكانة والجودة التحريرية والاعتراف الأدبي بعديد الكتّاب وتكريسا لهم، تنشر حاليًا أعمالًا رئيسية ليس فقط في الأدب الفرنسي، ولكن أيضًا في الأدب العالمي.

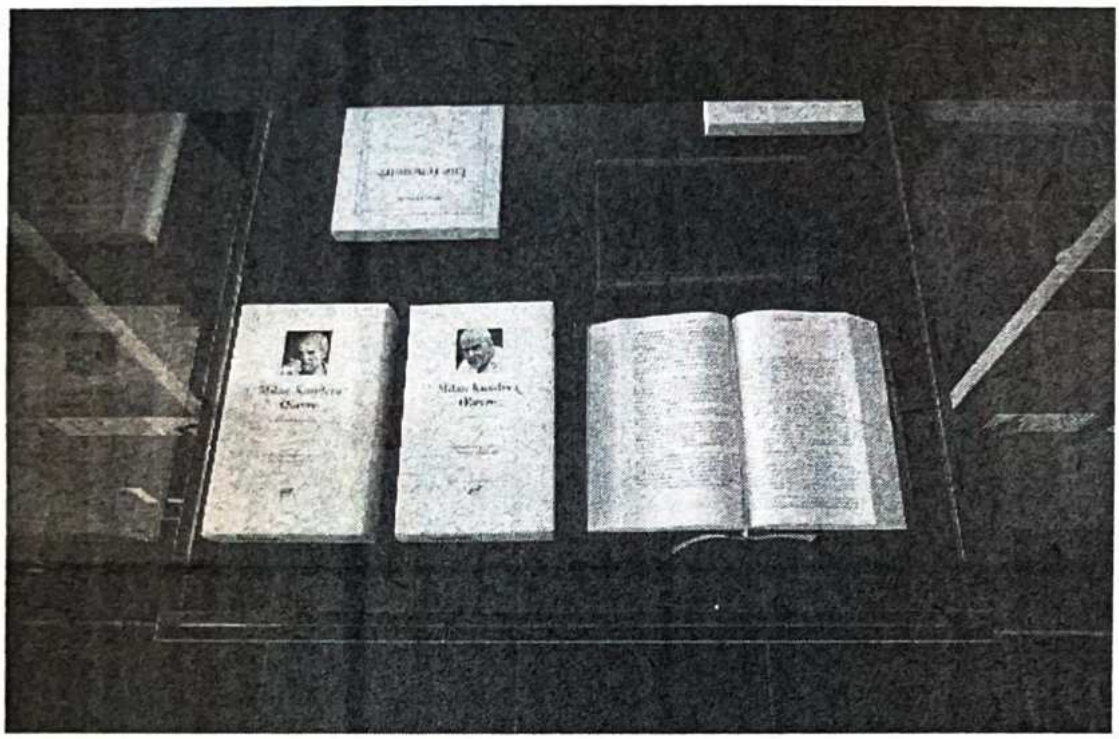

في مجموعة (لابلييياد)، عن (غاليمار)، يظهر العنوان بصيغة المفرد: «العمل». نصب الكتابة الوطنية- التشيك

وضع شروطا لدخوله «البلييياد» عام ٢٠١١. بأن لا يتضمن سوى رواياته الإحدى عشرة، مسرحية واحدة وأربع مقالات. إنّها الكتابات الوحيدة التي بإمكانه «المصادقة» عليها. لا قصيدة واحدة، ومسرحية فقط من بين مسرحياته الثلاثة، كما أنّ مقالته المدوية «الغرب المختطف» مفقودة أيضًا. تتمثل السيرة الوحيدة في... كتبه. لا توجد ملاحظات نقدية أو تعديلات، على عكس التقاليد. لا جدول زمني أيضًا. على ظهر المجلدين الأخضر أو الذهبي لمجموعة (غاليمار) المرموقة، يظهر عنوان المجموعة بصيغة المفرد: «العمل» ، ليس «الأعمال» أو «الأعمال الكاملة». شيء لم يُرَ مثله قط.

يعلق أستاذ الأدب (جيروم ميزوز): «كل شيء راجعه المؤلف، خلافًا لتقليد «لابلييياد».

تمّ الترحيب بالمجموعة في فرنسا. في جامعة (لوزان) في سويسرا ، حيث تطور علم اجتماع نقدي رائع للمجالات الأدبية منذ عدة سنوات ـ بعيدًا عن البيئة الباريسية ـ نشعر بالدهشة. يعلق أستاذ الأدب (جيروم ميزوز): «لقد تم مراجعة وفحص كل شيء من قِبل المؤلف، خلافًا لتقليد (لابلييياد).» عندما تترك مؤلفًا على رأس نسخته الخاصة بهذه الطريقة، بشكل عام، يجب إعادة بناء كل شيء بعد أربعين عامًا: كان هذا هو الحال بالنسبة لـ(سانت جون بيرس).»

(كونديرا) لن يصبح كافكا

«أنا لست محرر هذا الكتاب، إنه (كونديرا) نفسه!» يتعجب فرونسوا ريكار. «لقد اشتغلت كسكرتير. حتى لو كانت هذه الرؤية للكاتب المنفصلة عن الحياة والتاريخ ليست عصرية للغاية، إلا أنه يدافع بشكل جذري عن حقه ككاتب ضد الأكاديميين، وكافكويي اليوم، الذين ينتظرون اختفاء المؤلف، للاستيلاء والتصرف في عمله.» (كونديرا) لن يصبح (كافكا). يريد مراجعة كل شيء بنفسه وهو على قيد الحياة، لاسيما الترجمات.

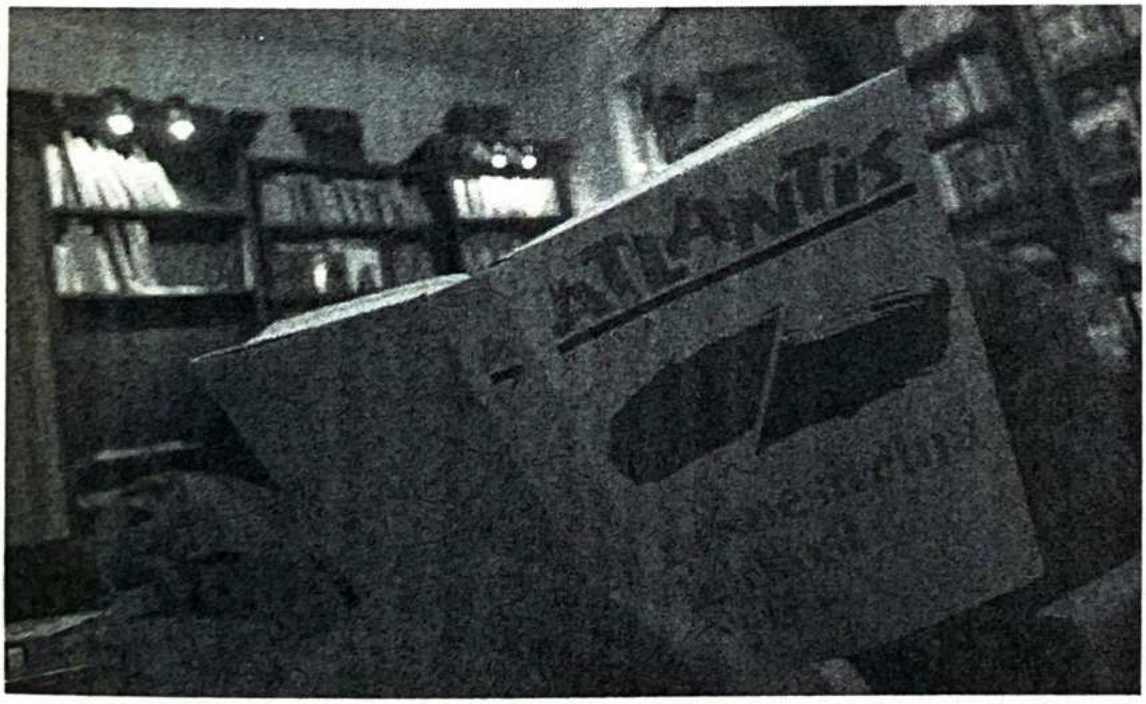

رجل يقرأ «كائن لا تحتمل خفته» لـ (ميلان كونديرا)، في مقهى بـ (براغ)، في طبعته الأولى. عدسة (ميشال سيزيك).

في منتصف الثمانينات، بعد نجاح «كائن لا تحتمل خفته»، شرع الكاتب في «حملة إعادة كتابة كبيرة» على حدّ تعبير ريكارد. إنّها مسألة مراجعة دقيقة، تقريبا كلمة بكلمة، لترجمات النصوص التشيكية بتعقيدات تفاصيلها. وهكذا وقع (كونديرا) ذات يوم على هذا المقطع من غراميات مرحة، التي ترجمها (فرونسوا كيرل): «وضع جسده حدا لمقاومته السلبية. كان (إدوارد) متأثرا!» متأثرا؟ سخيف. مستثارا؟ أوه. كلا! يفرض الروائي، يجب كتابة: «انتصب قضيب (إدوارد)!» «بالنسبة لي، بصراحة، لم يعجبني الأمر، يشهد (كيرل)، ليس ثمة أبدا عند (كونديرا) أمر مبتذل، معجمه كلاسيكي. لم أكن متفقا وما زلت، ولكني استسلمت ويأست منه.»

> قلم في اليد، يراجع «النسخ النهائية» من كتبه، مشيرًا إلى أن «النص الذي راجعه المؤلف فقط له نفس قيمة النص التشيكي.»

قلم في اليد، يراجع الكاتب «النسخ النهائية» من كتبه، نوع من التسمية الخاضعة للرقابة، تنص على أنّ «النص الذي راجعه المؤلف فقط له نفس قيمة النص التشيكي.» أمر مؤلم. «أخذت الأمر على منحى سيء بعض الشيء» يؤكد (كيرل).

هل هي مصادفة؟ في عام ١٩٩٠، أوقف ترجمة كتاب «الخلود»: «هنالك الكثير من العمل في الأمم المتحدة»، حيث تشتغل هذه الشيوعية السابقة التي تعمل على ترجمة الكتاب. امرأة تدعى (إيفا بلوش). (إيفا بلوش)؟ مجهولة من قبل كتيبة المترجمين. كل المتخصصين في أدبه فعلوا المستحيل لمعرفتها،

بلا جدوى.» قال (فينكيلكراوت): «أنا متأكد من أنه (ميلان) نفسه، إنّه يحب الخداع.» «أقسم لي أنها صديقة، ولكن من؟ يتساءل ريكارد. كل هذا كونديري بامتياز...»

«صدور» عمل، معركة

يبدو الأمر كما لو أنه كان يترجم من الفرنسية إلى الفرنسية: في التسعينيات، أمضى (كونديرا) وقتًا في ترجماته أكثر من الكتابة نفسها. المحو، الخربشات، لا تبقى صفحة فارغة. عندما ظهرت فجأة رواية «البطء»، عام ١٩٩٥، الأولى في سلسلة الروايات القصيرة والرصينة للغاية باللغة الفرنسية. حدث صغير. في عام ١٩٨٠، عندما أشاد الرئيس المستقبلي لأكاديمية (غونكور): (فرانسوا نوريسييه)، بهذه الثورة المصغرة بالنسبة له، وشجعه على المواصلة، قال الكاتب التشيكي إنه لا يستطيع: «لا يمكنني التفكير في العمل بأي لغة أخرى». أنا مسن جدا. مقال نعم. لكن ليس رواية. «لم أستطع أبدًا إتقان مفردات اللغة الفرنسية الغنية»، كما أسرّ بعد ست سنوات إلى كريستيان سالمون، مساعده السابق.

طبعات أجنبية لرواية «جاك ومعلمه» لـ(ميلان كونديرا).
نصب الكتابة الوطنية في التشيك.

الكتابة بالفرنسية لها فضيلة عظيمة واحدة: «على الأقل بهذه الطريقة، لم يعد مضطرًا إلى التعامل مع المترجمين بعد الآن» يبتسم صديقه (لاكيس بروغيديس)، الذي يدير مجلة «ورشة الرواية». (كونديرا) واقعيّ قبل كل شيء. اللغة التشيكية ليست منتشرة على نطاق واسع. فتحت له اللغة الفرنسية الطريق الملكي للعولمة الأدبية. يكتب أصدقاؤه (غارسيا ماركيز)، (روث)، (رشدي)، (فوينتيس)، (أوكتافيو باز)، باللغة الإسبانية أو الإنجليزية. إنه أول روائي جاء من «أمة صغيرة»، ويجب أن يدافع عن عمله ويدفع به إلى المسرح العالمي. في نهاية القرن، في باريس، كان بارونات جمهورية الآداب قد أفسحوا الطريق لوكلاء الأدب الدوليين. (أندرو ويلي) وكيل (مارتن آميس)، (فيليب روث) و(سلمان رشدي)، أصبح وكيل (كونديرا).

قال (كونديرا) لكريستيان سالمون، مساعده السابق: «كما تعلم يا (كريستيان) إن ٥٠٪ من موهبة الكاتب هي إستراتيجيته.»

قال (كونديرا) لـ(سالمون)، الذي كان يعمل إلى جانبه في كتاب فن الرواية: «أنت تعلم يا كريستيان، بأن ٥٠٪ من موهبة الكاتب هي إستراتيجيته وتقنياته.» النجاح غير المتوقع لرواية «المزحة»، مدفوعا بسحق ربيع (براغ) والاحتلال السوفييتي في عام ١٩٦٨، جعله مميزا. «استراتيجية صدور» العمل الفني، كما يقول علماء الاجتماع، أنهم تعلموا أهمية المسألة وموقفها. ولم يكن ذلك لقاء بسيطا مع جمهوره. بل معركة، وليس فقط على أرض الوطن.

غاضب من (فيليب سوليرس)

عندما كان يكتب باللغة التشيكية، بدا أن (كونديرا) لا يمكن المساس به. لطالما أنقذه النقاد الباريسيون. سلسلة الكتابات الفرنسية غيرت قواعد اللعبة. مع نهاية التسعينيات جاءت أولى الانتقادات اللاذعة. «فشل (كونديرا)... أسلوب جاف مثل أحجية الكلمات المتقاطعة.» كتبت (لالبيراسيون) عند صدور «الهوية»، كان هذا هو الوقت الذي انفصل فيه عن الناشر والكاتب (فيليب سوليرس)، الكاردينال الطليعي الذي منحه في الثمانينيات لقب فارس في باريس.

السبب الرسمي للغضب؟ زجاجة (سوترن). اختارها ناشر (بوردو) (نسبة لمدينة بوردو الفرنسية) بعناية وأخذها إلى الزوجين (كونديرا)، في شقتهم الجديدة في الدائرة السابعة، ووضعها على مائدة الغداء. وكما هو الحال مع أي طعام أو شراب جديد، كانت (فيرا) تدير ساعتها ذات السلسلة (بندول) فوق الزجاجة، فمنذ نوبة من حساسية الوجه، أصبحت تختبر وتجرب كل طبق، بما في ذلك في المطاعم، حتى عندما يُدعى الزوجان لتناول العشاء مع الأصدقاء. يقول المخرج (نيكولاس بريانسون): «أتذكر ذات يوم أخبرني (ميلان): «كل الحمقى يؤمنون بالله الذي لا أراه، وأؤمن بالبندول الذي أراه.»

في ذلك اليوم، راح بندول (فيرا) يهتز فوق زجاجة السوترن/ قلعة سودويرو. غير أنه لا يمكن المزح مع (سوليرس) ولا مع النبيذ العظيم.

البندول هو سلاح (فيرا) السري، وهو أداة عملية للغاية تستخدمها بحقد. أحيانًا نرى إصبعها يدفع الخيط بتكتم. يساعدها ذلك على إبعاد من لم تعد تحبه أو لا تثق به. البندول يرفرف فوق زجاجة السوترن، قلعة سودويرو. ولكن لا يمكن المزح مع (سوليرس) ولا مع الخمور العظيمة. حمل محرر (غاليمار)، الزجاجة بهدوء وأفرغها في حوض المطبخ. هكذا كانت نهاية اللعبة وذريعة الخلاف التي كانت تختمر بالفعل.

سرعان ما ندم (سوليرس) على تحول (كونديرا) للكتابة باللغة الفرنسية، وقد أعرب عن ذلك في مقال: «نصوصه وكتاباته تربح أكثر وهي مترجمة.» في يومياته، «عام النمر» في جوان ١٩٩٨، يصدر حكما على رواية «الهوية» والتي صدرت للتوّ، قائلا أنها كانت «سطحية إلى حد ما». هنالك أيضا هذه الجملة التي ظهرت في كتاب «رواية حقيقية» (بلون٢٠٠٧): «بدأ (كونديرا) الكتابة بالفرنسية. سكوت.» في اليوم الذي سخر منه -دون تسميته- في واحدة من رواياته، ارتجف (كونديرا) عبر كل أطرافه. ومع ذلك، فقد أشاد الأخير في «الوصايا المغدورة» بـ(سوليرز)، معترفًا بـ «شعور القرابة الجمالية السرية» الذي شعر به عاشق القرن الثامن عشر مثله. عرّف (أراغون) بكليهما في بداية مشوارهما الأدبي، (أراغون) الذي اشتركا أيضا في محبته.

هل كان ذلك من أجل الانتقام؟ أم -وهذا أيضا في غاية القسوة- لأن اسمه لن يعني شيئا لقرائه العالميين؟ المقاطع المخصصة لـ(سوليس) اختفت أيضا وببساطة من «البلياد». وتم محوها مثل غيرها.

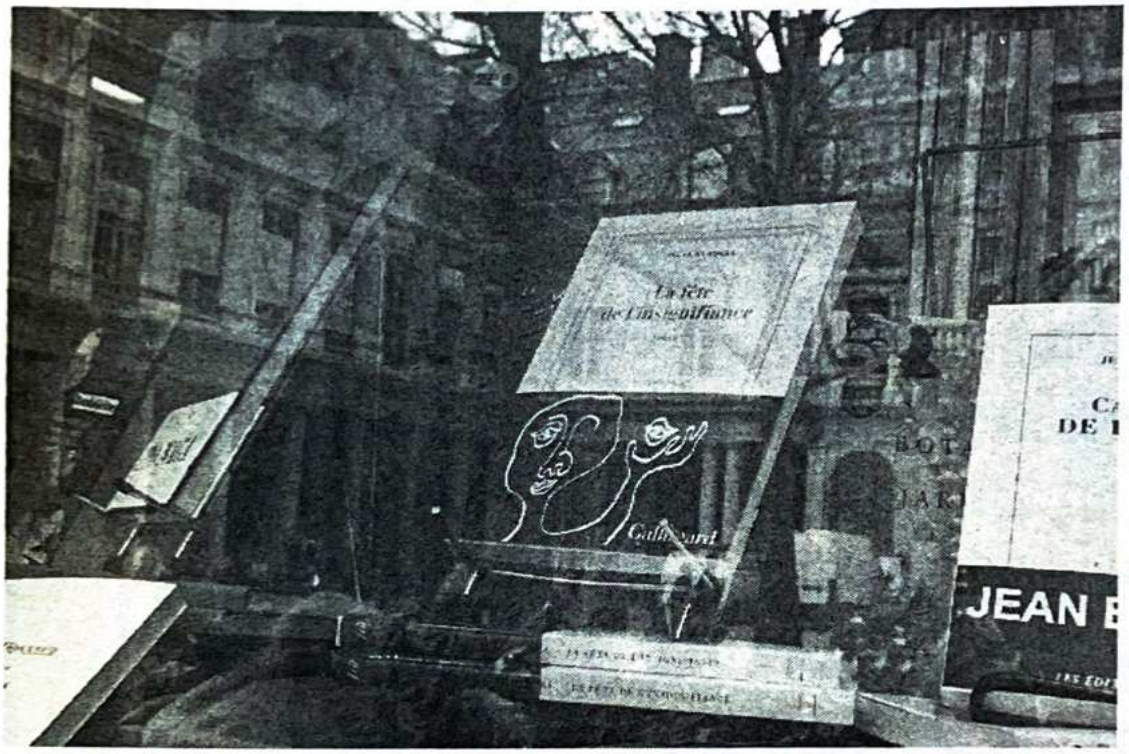

واجهة إحدى المكتبات الباريسية، حيث تعرض «حفلة التفاهة» لـ (ميلان كونديرا) أفريل ٢٠١٤، ميشال أولير

تم إطلاق هذه الأعمال من الخارج. «الجهل» ظهرت في إسبانيا عام ٢٠٠٠، قبل ظهورها بباريس بثلاثة أعوام، ظهرت «حفلة التفاهة» في إيطاليا عام ٢٠١٣، قبل عام من ظهورها في فرنسا. «إنها مسألة تسويقية قبل كل شيء، وازدراء للمؤسسة الباريسية، يقول الكندي (فرونسوا ريكارد)، وهي إستراتيجية طورها بموافقة (أنطوان غاليمار)»، رئيس دار النشر، «تم استقبال رواية «البطء»

بشكل سيء، فافترضوا أن النقد سيكون أفضل في الخارج، وهو ما حدث بالفعل!» عمل (كونديرا) يهرب من باريس. هذا ليس كل شيء: رواياته التي تم تجاهلها طويلا في (براغ)، تُرجمت الآن من الفرنسية إلى التشيكية!

(6)

ميلان كونديرا، الحنين إلى براغ

(ميلان كونديرا) في باريس، فبراير ٢٠٠٩.
عدسة كاترين هيلي/ أوبال

(*كونديرا*)، *قصة حياة* (٦/٦).

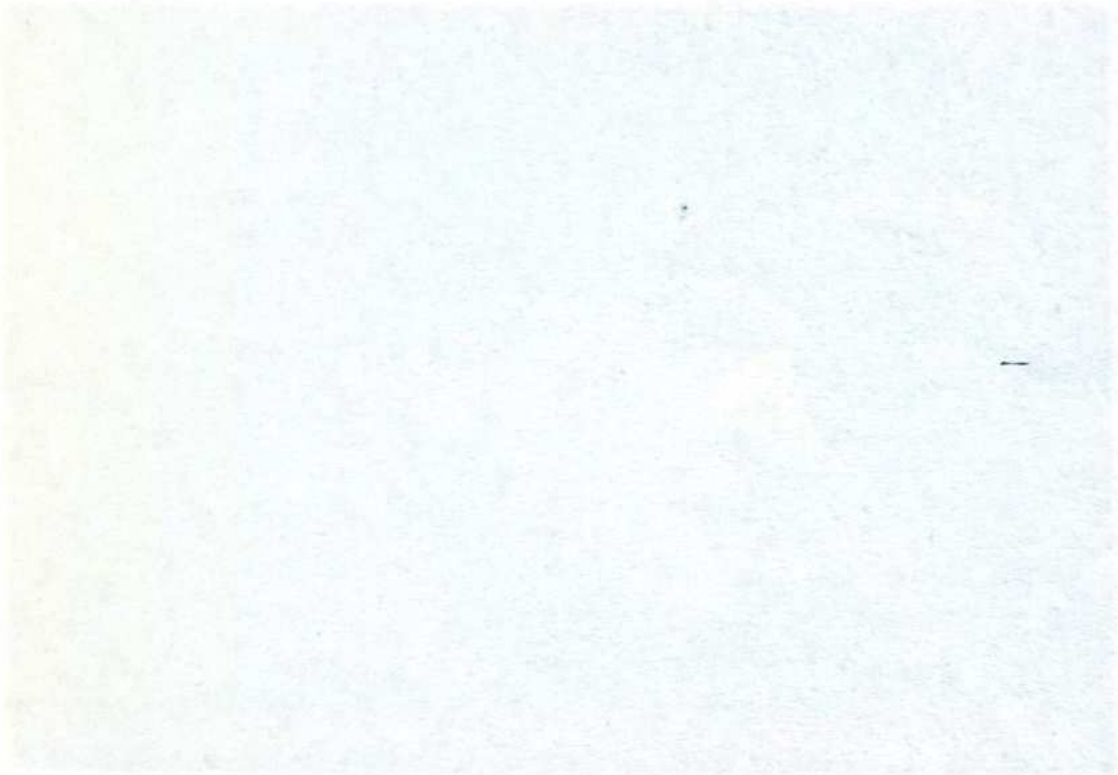

«فرنسا هي وطني الجديد» أكّد الكاتب قبل أربعين عاما. في سن الـ ٩٠، يستعيد للتو جنسيته التشيكية، بينما تحلم زوجته بالعودة إلى بلد شبابهما.

كان ذلك في شهر أكتوبر في دير (ستراهوف) على أحدى تلال (براغ)، في جوهرة الفن الباروكي هذه، أقيم معرض حول ترجمات أعمال (ميلان كونديرا). للوصول إلى هناك لمسقط رأسه، كان عليك أن تسلك المسار الأخضر شديد الانحدار الذي يمتد على طول مستشفى راهبات الرحيمات في (سانت كارلا). في فترة بعد الظهر تهرب دائما ممرضات كثيرات بهيئاتهن الممتلئة وبلوزاتهن البيضاء الواسعة، مثلما نتخيلهن في المنتجع الصحي في «فالس الوداع» (١٩٧٦).

المبنى الو اقع في ٣٠٤، شارع (بارثولومي٩، في (براغ)، بتاريخ ٢٠ أكتوبر.

لا يوجد مسار لمشاهدة معالم (كونديرا) في (براغ)، فقط الأشباح التي هربت من كتبه. لم يجتذب المعرض في دير (ستراهوف) حشدًا كبيرًا. ومع ذلك، كان الوكيل الجريء يحلم بـ «التأكيد على أهمية مكانة (ميلان كونديرا)، العضو الذي لا منازع له في الأدب العالمي العظيم». في الطابق الأرضي للبناية عدد ٣٠٤ شارع (بارتولوميجسكا)، حيث عاش الكاتب وزوجته (فيرا) ذات يوم، يوجد متجر لمصمم، يشيد بفخر وباللغة الإنجليزية بمنتوجه من الملابس التقليدية، التشيكية مائة بالمائة وعلى مسافة أبعد بقليل يوجد معهد السينما حيث كان الروائي ذو ٤٩ ترجمة يدرّس في

الستينيات، ولا شيء آخر. بلده الأصلي يتجنبه، وتنشر كتبه هناك بشكل مقتصد، ولم يقرأه حتى الشباب.

> نكتة متداولة في (براغ): «قضى (هافل) فترة في السجن وأصبح رئيسًا. ذهب (كونديرا) إلى فرنسا، وأصبح كاتبًا.»

بالنسبة لكبار السن، لم تكن مسألة جهل أو لا مبالاة. يتم تداول نكتة هنا حول هذا الموضوع: «قضى هافل فترة في السجن وأصبح رئيسًا، ذهب (كونديرا) إلى فرنسا وأصبح كاتبًا.» النكتة تقول كل شيء وتذهب تحديدًا نحو موجز قدري وسردي للحياة. هل يمكن أن تشرح لي لماذا يشكل الكاتب الذي في المنفى «(كونديرا)» مشكلة لهؤلاء المثقفين التشيكيين تصل إلى حد الهوس؟ قبل ثلاثين عامًا، سأل الروائي الأمريكي (فيليب روث إيفان): (كليما)، وهو كاتب تشيكي لا يعرفه الفرنسيون ولكنه معروف جيدًا في بلده. قبل نفي (كونديرا) في عام ١٩٧٥ كانت تتم مقارنتهم كثيرًا. أجاب (كليما): «وضعه كطفل مدلل للنظام الشيوعي حتى عام ١٩٦٨، ثم الشعور بأن (كونديرا) قد نأى بنفسه عن أولئك الذين حاربوا في (براغ) ضد «الشمولية» والرقابة التي فرضها المحتل السوفيتي عام ١٩٦٨» (فيليب روث، لماذا نكتب؟ غاليمار، ٦٤٠ صفحة، ١٠,٩٠ يورو)

(ميلان كونديرا) وزوجته في (براغ) عام ١٩٧٣.

يبلغ من العمر ٨٨ عامًا، ولا يزال (إيفان كليما) يعيش في (براغ). يستقبلنا فيْ صالون العلاج النفسي لزوجته ويؤكد أن العلاقات مع (ميلان كونديرا) قد قطعت بالفعل. في جمهورية التشيك، تقول الشائعات أن المنفي وزوجته يتسللان إلى هنا، وهما يرتديان نظارات سوداء على أنوفهما. «ثرثرة، تخيلات سينمائية، هراء، تحتج (فيرا كونديرا). عدنا فقط خمس أو ست مرات» بعد «الثورة المخملية «وانتخاب (فاتسلاف هافل). كانت المرة الأولى في عام ١٩٩٠: عبرنا (براغ) من قبر والده في مقبرة أولساني إلى فندق (هوفميستر). الجميع يتحدثون الإنجليزية. قالت (فيرا كونديرا): «لقد تعرفت على الأماكن التي أحببتها، لكن شيئًا ما قد تغير بالتأكيد. وتساءلت إن كنت حقا في بلدي.»

خلف الأبواب المغلقة يوميا

لفترة طويلة، تجول (كونديرا) بقامته الطويلة بين الأحواض والنافورات وتماثيل الدوقات، والفنانين والشعراء في حدائق (لوكسومبورغ)، يروي في كتاب «حفلة التفاهة» (٢٠١٤). أصبح الخروج من البيت اليوم نادرا. الستائر الحديدية للشقة الواقعة في قلب العاصمة تظل على الدوام مغلقة، كما تُطفأ الكاميرات غير تاركة أي شيء يمرّ عبرها إلى روتينهم اليومي. في الصيف، النوافذ مغلقة: في الطابق السفلي يوجد ميدان، لكن الروائي ـ مثل زوجته ـ لا يحب رفقة الأطفال أو صرخاتهم.

عندما قررت مدينة (برنو) أن تمنحه «مواطنًا فخريًا» في عام ٢٠١٠، ذهب العمدة بنفسه إلى شقة الزوجين في باريس لتسليم الشهادة. انتهى الحفل في مطعم (لوغيكاميي) الشهير. قبل ثلاثة أعوام، حصل مؤلف كتاب «كائن لا تحتمل خفته» (١٩٨٤) على الجائزة الوطنية للأدب التشيكي. لم يتحرك من مكانه أيضا، مجرد تمرير رسالة شكر مسجلة.

> يضحك الأكاديمي (دومينيك فرناندیز) قائلًا: «ليس لديه أتباع، لكن معجبين فحسب، وهذا أفضل ما يمكن للكاتب.»

في شارعهم الصغير في الدائرة السابعة من باريس، أصبحت حياة الزوجين (كونديرا) مقيدة الآن. تزورهم دائرة الأصدقاء المتحمسين: الناشر (أنطوان غاليمار)، الأساتذة المساعدون في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (كريستيان سالمون) و(لاكيس بروغيديس)، الكتّاب (ياسمينا ريزا) و(بنوا دوتورتر). يحدث أيضا أن يمرّ الروائي (فرونسوا تيلاندير) ليلقى عليهما السلام: «التطور المضني الطويل الذي اكتسبته نظرته لمفهوم الحنين، طريقته في ربط مصير شخصياته بمسائل فلسفية ووجودية، هو ما لفتني وجعله مميزا للغاية لدي.» يقول هذا الروائي لتاريخ فرنسا عن (كونديرا). يضحك الأكاديمي (دومينيك فرناندیز) قائلًا: «ليس لديه أتباع، لكن معجبين، وهذا أفضل ما يمكن للكاتب أن يحوزه.»

كما مرّ المدير العام للبيت الأمريكي اللاتيني، (فرونسوا فيتراني) لشرب الشاي، تخليدا لذكرى السنوات المجنونة، عندما كان يسكن في باريس، وعندما لم يكن يعرف (ميلان) و(فيرا) آنذاك إلى أين يمضيان في رحلتهما. في ذلك الوقت، في الثمانينيات، كان سفير المكسيك في باريس، وكان الكاتب (كارلوس فوينتيس)، صديق لهما وكان يدعوهما بانتظام إلى الحفلات. من بين الضيوف، (كورتازار)، و(غارسيا ماركيز). « و(بونويل)، تضيف (فيرا)... كنا نرى بعضنا باستمرار، حتى أننا نمنا في السفارة عدة مرات.»

«تبعتُ درب كتبي»

في ١٩٨٦، أوكل (ميلان كونديرا) و(فرونسوا فوريه) رئيس المدرسة العليا لدراسة العلوم الاجتماعية، للفيلسوف (آلان فينكيلكراوت) – زائر مخلص آخر في ٢٠١٩ ـ إدارة مجلة جديدة تحمل اسم «الرسول الأوروبي»، برعاية مؤسسة (سانت سيمون). في ذلك الوقت، لم يكن الوقت قد حان لتراجع القومية عبر القارة. في عام إطلاقه، أعطى (كونديرا) في كتابة «فن الرواية» تعريفا لكلمة «أوروبي»: «إنه الشخص الذي يتوق إلى أوروبا.» الندم نوع من استمرار الرغبة: مازال يحلم بأوروبا بدون جدران ولا بيروقراطية وحاشيه. حتى أنه عام ١٩٨٤، تساءل في (النيويورك تايمز) «إذا ما كان مفهوم الوطن ليس سوى مجرد وهم، خرافة». ومثلما قال في ١٩٨١ وهو يتلقى الجنسية الفرنسية: «أصبحت فرنسا وطن كتبي، وأنا تبعت درب كتبي.»

> في خريف عام ٢٠٠٨، بدأ (ميلان كونديرا) يرسم طريقه ككاتب (فرنكوفوني) عندما ارتد ماضيه التشيكي مرة أخرى إليه.

في خريف عام ٢٠٠٨، انطلق (ميلان كونديرا) في طريقه ككاتب فرنكوفوني، عندما ارتد ماضيه التشيكي مرة أخرى إليه. أثناء التحقيق في قضية (دفوراسيك)، وهو معارض شاب للنظام الشيوعي، تمّ القبض عليه ومن ثمّ إعادته إلى بلاده، اكتشف صحفي ومؤرخ لمجلة ريسبكت التشيكية في أرشيفات أمن الدولة التشيكوسلوفاكي وثيقة غير منشورة عن (ميلان (كونديرا)). في ١٤ مارس ١٩٥٠، عندما كان عمره ٢٠ عامًا، ورد أن الكاتب المستقبلي أبلغ الشرطة عن الشاب (دفوراسيك)، مما أدى إلى اعتقاله والحكم عليه بالسجن لمدة ٢٢ عامًا، بعد أكثر من نصف قرن، بدأت الصحافة في جميع أنحاء العالم في متابعة الموضوع ومحاولة تحقيق العدل فيه.

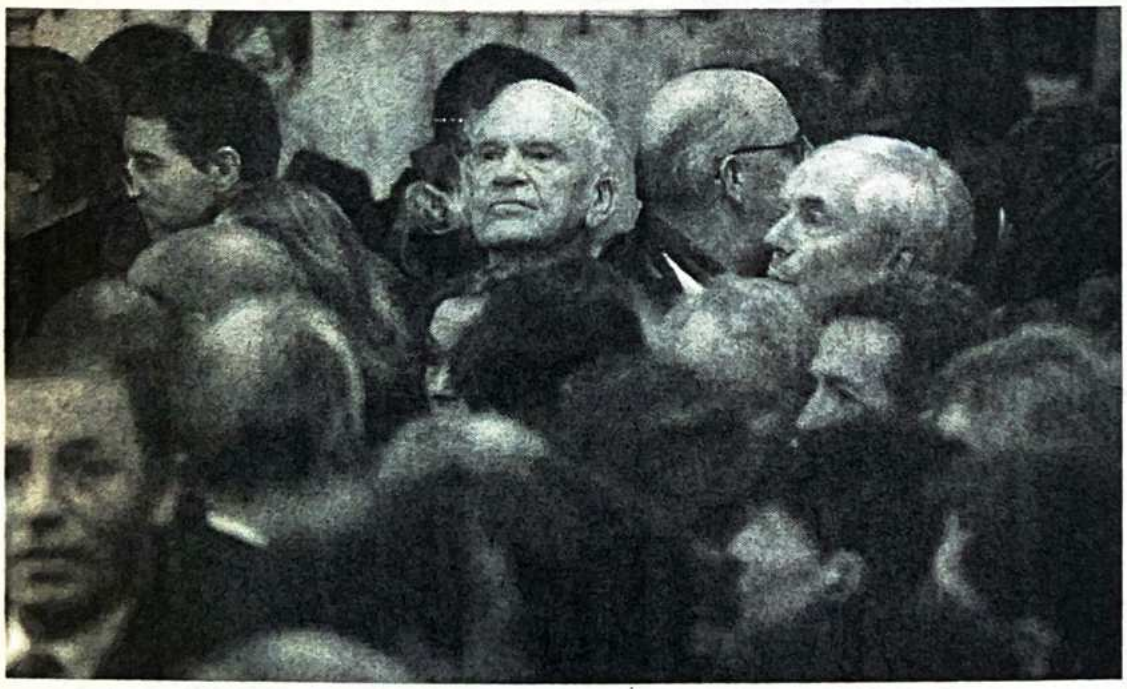

في باريس يوم ٢٠ نوفمبر ٢٠١٠. الكاتب (ميلان كونديرا) أثناء الحفلة التي أُقيمت بمناسبة السنة العشرين لمجلة «قانون اللعبة»، التي أسسها (بيرنارد هنري لوفي). ميغل ميدينا.

ليس هناك شك: الوثيقة أصلية، ويظهر اسم (كونديرا) هناك. لكن بأي صفة؟ لماذا؟ قال (جاك روبنيك) الباحث في أوروبا الوسطى، الذي نظر في هذه القضية: «لم يتمّ العمل الأوليّ للمؤرخ.» ثمة جملة واحدة فقط تشير إلى (كونديرا) في تقرير الشرطة هذا. تشير إلى حقيبة مجهولة ولا تذكر إطلاقا المسمى (دافوراسيك). لو كان للكلمات معنى، لا يمكننا تسمية هذا اتهاما أبدًا.» تجربة تمّ القيام بها أثناء هذا التحقيق، أمن الدولة ليس معصوما من الخطأ. ثمة مثالين: السيارة (رونو ٥) التي أخذت الزوجين (كونديرا) إلى فرنسا لم تكن حمراء ولا جديدة، كما كتب في ملفات المراقبة، ولكن زرقاء وقديمة، الكلب من فصيلة بوكسر الذي تمتلكه (فيرا كونديرا)، والمذكور في أحد التقارير، لم يكن ذكرا بل أنثى، ولا يدعى «هونزا» بل «بونزا»...

كان الاتهام عنيفًا لدرجة أن (ميلان كونديرا) كسر الصمت الإعلامي الحازم الذي التزم به لمدة ٣٤ عامًا ورد واثقًا على الراديو التشيكي: «هذه ضربة وضيعة. لقد تم المساس بشرفي.» في باريس، بعض المثقفين وقفوا في مواجهة الأمر: (فينكيلكراوت) بالطبع، (ياسمينة ريزا)، (برنارد هنري ليفي). وسط هذه الاضطرابات، انهار الزوجين (كونديرا). وقالت زوجة الروائي لمجلة «هوست» الثقافية قبل أسابيع قليلة «هذه المرة أدركنا أن أي عودة مستحيلة، وفي الوقت نفسه، ولدت فكرة العودة إلى هناك، حيث يمكننا الاختباء بعيدًا...»

«لو كنت أمتلك الخاتم السحري...»

كتب (كونديرا): «نخرج من مرحلة الطفولة دون أن نعرف ما هو الشباب، نتزوج دون أن نعرف ما هو الزواج، وعندما نتقدم في السن لا نعرف إلى أين نحن ذاهبون. وبهذا المعنى، فإن أرض الإنسان هي كوكب قلة الخبرة.» ها هما الزوجان مرتبكان، ضائعان. يتذكر (فينكيلكراوت) قائلًا: «(كونديرا)، مثل (سترافينسكي)، لم يتحمل أبدًا الفكرة السلبية للمنفى». بالنسبة له، كان المنفى فرصة وحظا، وهو-ما عمق الهوة بينه وبين التشيكيين. ولكن اليوم، مع التقدم في السن، استحوذ عليه هو و(فيرا) الحنين إلى وطنهم الأم. هذا شعور حديث ومثير للاهتمام. وهذا هو سبب موافقتهم على الحصول مجددا على الجنسية التشيكية.»

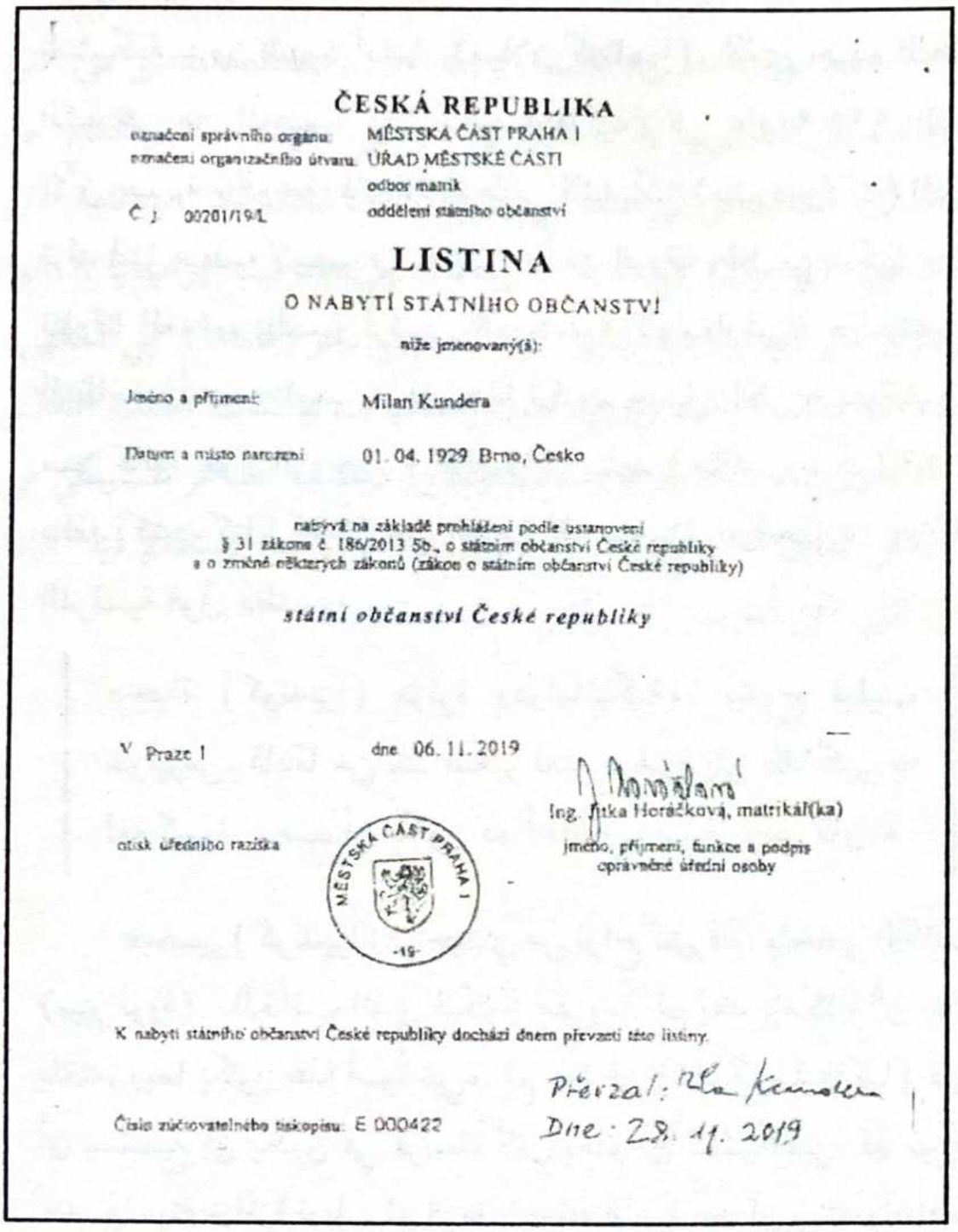

ČESKÁ REPUBLIKA

označení správního orgánu: MĚSTSKÁ ČÁST PRAHA 1
označení organizačního útvaru: ÚŘAD MĚSTSKÉ ČÁSTI
odbor matrik
Č. j. 00201/19/L oddělení státního občanství

LISTINA

O NABYTÍ STÁTNÍHO OBČANSTVÍ

níže jmenovaný(á):

Jméno a příjmení: Milan Kundera

Datum a místo narození: 01. 04. 1929 Brno, Česko

nabývá na základě prohlášení podle ustanovení
§ 31 zákona č. 186/2013 Sb., o státním občanství České republiky
a o změně některých zákonů (zákon o státním občanství České republiky)

státní občanství České republiky

V Praze 1 dne 06. 11. 2019

Ing. Jitka Horáčková, matrikář(ka)
jméno, příjmení, funkce a podpis oprávněné úřední osoby

otisk úředního razítka

K nabytí státního občanství České republiky dochází dnem převzetí této listiny.

Převzal: Mla Kundera
Dne: 28. 11. 2019

Číslo zúčtovatelného tiskopisu: E 000422

وثيقة الجنسية التشيكية لـ (ميلان كونديرا) / لوموند

أصبح من بين وظائف شقتهم ضمّ الحفلات. ففي ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٩، أقيمت هناك مراسم «استرداد» الجنسية التشيكية بدون شهود أيضا. (ميلان كونديرا)، الذي جرده النظام الشيوعي من الجنسية (التشيكوسلوفاكية) في عام ١٩٧٩، لديه الآن جنسية مزدوجة. قال الدبلوماسي التشيكي (بيتر درولاك) الذي ترك للتوّ منصبه كسفير في باريس «أخذ الورقة وقال لي شكرا.» ثم تناولنا الغداء. بالنسبة لرئيس الوزراء، (الأوليغارشي) «المناهض للنظام» (أندريه بابيس)، فإن هذا تكريم جميل. لكن صُدم كثيرون ممن كانوا حول الزوجين (كونديرا). يتنهد (جاك روبنيك) قائلًا: «لقد كتب كتابًا كاملًا عن العودة المستحيلة: «الجهل»، وباللغة الفرنسية فوق ذلك.»

> «حياة (كونديرا) مؤثرة ودراماتيكية»، يشرح فيليب سوليرس. قادمًا من بلد صغير لغته صغيرة إلى بلد كبير به لغة كبيرة، يجب أن يكون ذو أعصاب متينة. وقد كان.»

«مصير (كونديرا) تراجيدي من نواح كثيرة»، يلخص الكاتب (بيير نورا). الكاتب الذي ليكون مقروءاً، لم يعد بإمكانه أن ينشر بلغته، ربما يكون هذا أسوأ شيء. لم يعد في (تشيكوسلوفاكيا) دون أن يستطيع أن يكون في فرنسا، كان يعلم أن التشيكيين قد تبرأوا منه، ونسيته جائزة نوبل، ثم ابتعدت عنه فرنسا بعد أن تبنته وأشادت به...» يضيف صديقه القديم (فيليب سوليرس)، وهو عمود آخر من أعمدة دار (غاليمار): «حياة (كونديرا) مؤثرة ودراماتيكية،

قادما من بلد لغته صغيرة، إلى بلد كبير لغته كبيرة، يجب أن يتمتع بأعصاب متينة، وهذا ما قد كان.»

مع مرور السنين، كانت زوجته على وجه الخصوص هي التي عانت في المنفى. إنها تختنق في باريس، حيث هناك الكثير من العمل. منذ بعض الوقت، في الليل، كانت تحلم أنها مستلقية على صخور (فيدرا)، في غابة (سومافا)، في جنوب (بوهيميا)، أنها تنزلق على الجليد بزلاجاتها، أو تستحمّ في بحر (فلتافا). في المقهى، أمامنا، تلف خاتمًا وهميًا حول إصبعها: «لو كنت أمتلك الخاتم السحري...»، يطاردها بيت لـ(فيكتور ديك)، الشاعر التشيكي في أوائل القرن العشرين، حيث يكون «الوطن» هو المتكلم فيه: «إذا تركتني فلن أموت، إذا تركتني فسوف تموت.»

المحتويات

المقدمة	**5**
المصير الاستثنائي لـ (ميلان كونديرا).	**9**
«لدي جرعة زائدة من نفسي»	13
«لا أحبّ تحويل حياتي إلى ميلودراما»	17
أب موسيقار وعازف بيانو	21
ناشط شيوعي متحمس	24
«أصبحت (برنو) صغيرة جدا»	28
من الشِعر إلى الرواية	31
«هل تجيدين استعمال الآلة الكاتبة، آنسة (هرابانكوفا)؟»	33
مقدمة بقلم (آراغون)	35
معارضة فكرية ضد التطبيع	38

ميلان كونديرا، كاتب تحت رقابة مكثفة 41

مخطط على مرحلتين 46

«عدوّ من الدرجة 2» 48

«علاقات هامة مع الخارج» 51

بعض»السقطات» 54

وظائف صغيرة ومنفى 56

ميلان كونديرا في طريقه نحو الغرب 59

جائزة ميديسي للأجانب 63

وظيفة في جامعة (رين) 65

عبادة التفاصيل 68

«أكتب لأُضحاك (فيرا)» 70

لقاء في (بال إيل) الجزيرة الجميلة. 72

ميلان كونديرا، أستاذ متميز 75

تحفّظ قريب من الخجل 80

«ورشة رواية» 82

«سارتر معادي للإيديولوجية» 84

«وليّ نعمته» (فرونسوا فوريه): 87

الكتابة وتعدد الأصوات 89

ميلان كونديرا اللغة الفرنسية تشبه السلاح 93

الخروج من (أراغون) ومقدمته 97

(كونديرا) لن يصبح كافكا 100

«صدور» عمل، معركة 103

غاضب من (فيليب سوليرس) 106

ميلان كونديرا، الحنين إلى براغ 111

خلف الأبواب المغلقة يوميا 117

«تبعتُ درب كتبي» 119

«لو كنت أمتلك الخاتم السحري...» 122

دار ترياق للنشر والتوزيع
TERIAQ PUBLISHING

السيرة غير المعروفة لميلان كونديرا

يُجسّد هذا الكتاب سيرة ثريّة لحياة كاتب لطالما اندهش قرّاؤه من عوالمه الروائية المتقنة. كما تكمن أهميّته في أنه (ميلان كونديرا 90 عامًا) للتوّ استعاد جنسيّته التشيكيّة، إضافةً إلى اعتذار رسمي عن حملات الهجوم والمطاردة اللذين تعرّض لهما من النظام السابق في تشيكوسلوفاكيا، هو الذي جُرّد منها عام 1979، وهو خارج وطنه، فعاش -من لحظتها- سنوات منفاه العديدة كاتبًا ومُدرّسًا للأدب، مستمتعًا بقدر كبير من الحرية في التعبير، دون أن يتخلى عن حذره المستمر من أجهزة النظام، حتى وهو يرسل رسالة مُرمّزة عبر بريده. يراجع هذا الكتاب أرشيف تلك المرحلة الغامضة من مسيرة روائي وفيلسوف لم يكن يسمح لعدسة كاميرا بأن تلتقطه، أو لصحفي متلصص بأن يقترب منه. وهو عبارة عن سلسة تحقيقات، مُزوّدة بصور، ووثائق تظهر للمرة الأولى، اجتهدت الصحفية الشهيرة أريان شومان في ملاحقتها، وتسجيلها عبر مراحل مختلفة، ثم منحتها سبقًا حصريًا لصحيفة (اللوموند) الفرنسية.

-الناشر.

دار ترياق للنشر والتوزيع
TERIAQ PUBLISHING
دار ترياق للنشر والتوزيع
الرياض
Teriaq_ksa
Teriaqpublishing@gmail.com

9 786039 152293